محمد بن أحمد بن عمران الهَمْدانيّ (540هـ)

حياته وما بقي من شعره

جمع ودراسة

د. عبد الله طاهر علي الحذيفي*

raknfsn@gmail.com

الملخص:

استهدف هذا البحث الكشف عن حياة الفارس الشاعر محمد بن أحمد بن عمران الهَمْدانيّ، الذي عاش خلال المدة (465-540هـ)، بين صنعاء، والجَنَد وذي جِبْلَة وحولهما، حيث كان يعمل في جيش الدولة الصليحية، ويقود بعضَ قومه لحمايتها، وينشئُ الشعرَ، في مدح الشخصيات المرموقة، وقد اتخذنا المنهج الاستقرائي التحليلي وسيلةً للوصول إلى الهدف، عبر خطةٍ قدمت مهادًا تاريخيا، ثم تعريفا بهذا الأديب، بعد ذلك جاء جمعُ ما بقيَ من شعره، وضبطه مبنًى ومعنى، ثمّ دراسته، واستخلاص سماته الفنية. كما تم التعريف بالأعلام البارزة وأدوارها في الهوامش، وقد استمدَّ هذا البحث مادَّته من كتب تاريخ اليمن المعنية بالقرنين الخامس والسادس الهجريين سواء منها ما كان مطبوعا أم مخطوطا، ومن تلك المصادر مخطوط "عيون الأخبار السبع السابع"، لإدريس عماد الدين الأنف، ومخطوط "نزهة الأفكار" للمؤلف نفسه، وغيرهما. وقد توصّل البحث إلى جمع (69) بيتا مما بقي من شعره، بين قطعة وقصيدة، وأظهرت الدراسة أنه كان متفوقا في قول الشعر مجيدا لكل غرض يطرقه، وصاحبَ لغة رصينة، وبناء شعري مكثف. وبهذا نقدم للباحثين شاعرا يمنيا ظل مغمورا طوال قرون مضت.

الكلمات المفتاحية: محمد بن أحمد الهَمْداني، الشعر اليمني في عهد الصليحيين، رثاء الملكة الصليحية، الوصف، مدح الصليحي.

---

* أستاذ الأدب العربي المساعد – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب - جامعة الوصل/ دبي - الإمارات.

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN: 2708-5783 ISSN: 2707-5508)
الآداب

Muhammad Bin Ahmed Bin Amran Al-Hamdani (540 AH)

His Life and Poetry

Dr. Abdullah Taher Ali Al-Huthaifi*

raknfsn@gmail.com

Abstract:

The aim of the research is to investigate the life of the knight poet Muhammad Bin Ahmed Bin Imran al-Hamdani (465-540 AH). Adopting the inductive analytical approach, the study begins by providing a historical background and an overview of the poet. It then goes on to provide a survey of the remaining of his poetry through adjusting its structure and meaning and analyzing its artistic features. The research data in this study is drawn mainly from original handwritten or typed written sources on the history of Yemen during the fifth and sixth centuries AH. The findings of this study revealed that Al-Hamdani was a poet with a sober poetic language and intense poetic structure which made him excel in saying poetry and mastering all its purposes. Thus, the research will throw light on a Yemeni poet who has been unrevealed for centuries.

Keywords: Muhammad Bin Ahmed Al-Hamdani, Yemeni poetry, Sulayhiyyn, elegy, Description, Eulogy.

* Assistant Professor of Arabic Literature, Department of Arabic Language and Literature - College of Arts - Al Wasl University, Dubai, UAE.

المقدمة:

إن شاعرا بمستوى محمد بن أحمد بن عمران الهمداني كان جديرا بأنْ يكون مشهورا على الأقل بين أهل الأدب ولاسيما في اليمن، وديوانه كان جديرا بأنْ يكون بين الدواوين المعروفة، لكنَّ صيته أقلّ مما يستحق، وشعره في جملةِ ما أتلفته الأيام، ويبدو أنّ الصراع المذهبي، والمنافسة على الحكم، والمنافع القليلة، وضعف العناية بالثقافة، وجهل الناس بمكانة قدراتهم، من أبرز الأسباب التي أدت إلى تلف كثير من النتاج الأدبي في اليمن، ولمّا وقفنا على بضعة أبيات لهذا الشاعر لمسنا ما له مِن نفَس شعريّ أخّاذ، فكان البحث عما بقي من شعره في المصادر التاريخية التي اعتنتْ بالقرنين الخامس والسادس الهجريين في اليمن، ولا سيما تاريخ الدولة الصليحية، وتاريخ الملكة السيدة (أروى) بنت أحمد الصليحي التي كانت تحكمها وتدير شؤونها؛ نظرا لما للشاعر من اقتراب منها عَقَديّا وسياسيا وأدبيا.

ولهذا استهدف هذا البحث تسليط الضوء على حياة الشاعر وجمع ما بقي من شعره ودراسته لإظهار مضمونه وجمالياته الفنية، تحت عنوان: "محمد بن أحمد بن عمران الهمداني 540هـ حياته وما بقي من شعره"، آخذين بالمنهج الاستقرائي التحليلي، عبر خطة تناولت: الوقوف على حالة العصر من خلال الحديث الوجيز عن الدولة الصليحية، والتعريف بالشاعر، وجمع ما بقي من شعره، وإقامة بنيانه، وتخريج كل قطعة أو قصيدة، من مصادرها المطبوعة والمخطوطة، والقيام بدراسة ما بقي من شعره دراسةً كشفت عن معاني وصفه ورثائه ومدحه، وطرق تفننه وجماليات إبداعه، وكشفت نتيجة البحث عن جمع تسعة وستين بيتا، في ستِّ قوافٍ، منها ثلاثُ قصائد، وثلاث قطع، منظومة على بحرين شعريين هما الطويل 42 بيتا، والبسيط 27 بيتا.

وبيَّنت شِعريَّة الشاعر تكثيفا وتخييلا وإبلاغية دقيقة، ومع هذا فإننا ندعو الباحثين إلى بذل الجهود البحثية للكشف عن المنجزات الأدبية التي ظلت مفقودة إلى اليوم للأسلاف، مهما كانت توجهات أصحابها، ذلك لأنّ مثل هذا الشعر العالي الجودة يغدو مفخرةَ كبيرة للأجيال، وحافزا لها على العمل والإبداع، وأخيرا ذُيّلَ هذا البحث بقائمة المصادر والمراجع.

أولًا: الدولة الصُّلَيْحية في اليمن (439-532هـ)

تأسست الدولة الصُّلَيْحية على يد علي بن محمد الصليحي[1] سنة 439هـ، وظل الملك المؤسس يتوسّع فجَمع أقاليم أرض اليمن من مشرقها إلى مغربها تحت سُلطانه، ومنها إقليم تهامة الذي كان تحت سلطة نجاح الحبشي الذي صار إليه مُلْكِ إقليم تهامة[2]، سنة (412هـ)[3]، بعد أنْ قضى على آخر وزير لبقية ملوك آل زياد، وكان الملك الصليحي يهادنه ويهاديه، فأهداه جاريةً حسناء دسَّتْ له أسباب الموت، فمات في سنة (452هـ)[4]، وبموته تمكن الصليحي من زبيد وتهامة ونصّبَ عليها الولاة، إلى أنْ تعرض له عدوه اللدود سعيد الأحول، وهو مع حاشيته وكبار رجال دولته متجها إلى الحج، فلما كان على الطريق في تهامة هاجمه سعيدٌ الأحول وقتله سنة (459هـ)[5]، واستعاد مُلكَ آل نجاح في زبيد وتهامة، وأسرَ الملكة أسماء بنت شهاب زوج علي بن محمد الصليحي.

وغدا مُلكُ الصليحيين بيد المكرم أحمد بن علي الصليحي، الذي أخضع مناوئيه في صنعاء وجمع المقاتلين وهاجمَ زبيدًا وهزم سعيدا الأحول، واستنقذ أمَّه من الأسر، غير أنه أصيبَ بمرض الفالج، فساعدته زوجه السيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية على تدبير شؤون المُلكِ.

الملكة الصليحية سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية:

كانتْ امرأة كاملة راجحة العقل[6]، وفي عهد زوجها المكرم نُقِلتْ عاصمةُ الصليحيين من صنعاء إلى (ذي جِبْلَةَ)[7]، وهي في قلب المنطقة الخضراء الخصيبة في الوسط الجنوبي الغربي من اليمن، وصار المُلكُ بيدها بعد وفاة زوجها المكرم سنة (ت477هـ)[8]، وأحسنت الاستعانة برجال الدولة، وبقادة جيشها وكان أبو حمير سبأ بن أحمد الصليحي من أشدهم بأسا وكان واليا على المنطقة الشمالية الغربية ومستقرُّه حصن (أَشْيَح) في بلاد آنس من ذمار، وكان بعد موت الملك المكرم قد رغب في الزواج بهذه الملكة فلم تقبل، فوسط الخليفة الفاطمي المستنصر، فجاء كتابه بتزويجها، لكنها كما يبدو قد قبلتْ الأمر شكلا، ورفضته واقعا، إذ لم ترغب في تمكينه من نفسها، ولا من قيادتها لأمر الدولة[9].

ولم يطل العمر بالأمير أبي حمير سبأ الصليحي[10] وظلت الملكة ممسكة بزمام الحكم قبل وفاته وبعدها، وأخضعت الخصوم، بحسن السياسة قبل القوة، ونالتِ الألقابَ الفخمة من المستنصر الفاطمي بمصر بعد موت زوجها المكرم وموت ابنها علي الذي أقامته في المُلك مقام أبيه شكلا، والحكم بيدها، وجاء في أحد السجلاتِ الواردة إليها من مصر وصفها بـ «الحرةُ، السيدة السديدة، الرضية الطاهرة، المُخلَصة المكينة، ذخيرة الدين، عِصمةُ المسترشدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، ولِيَّةُ أمير المؤمنين، كافلةُ أوليائه[11] الميامين، عمدة الإسلام، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن»[12]، ومثل هذا يعني أنها كانت ذات ولاء للدولة الفاطمية وأنها على مذهبها الإسماعيلي، لكنَّ سلطتها تقلصت، بسبب استعادة جياش بن نجاح لمُلكِ تهامة، وتنامي سلطةُ بني زُرَيْع الهمدانيين ولاة عدن، وبموتها سنة 532هـ سقط آخر حجر من بنيان الدولة الصليحية.

ثانيًا: التعريف بالشاعر

هو القاضي الأجلّ محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني[13]، كان ذا صِيتٍ ذائع، وصلَ إلى المؤرخ القفطي في مصر، فترجمَ له في كتابه "المحمدون من الشعراء" ترجمةً قصيرةً قال فيها: «محمد بن أحمد بن عمران اليمني، المدعو بالقاضي الأجل، متميزٌ في بلده، وله أدبٌ وشعر، فمن شعره قوله[14]: (وجاء بالقطعة الآتية تحت رقم (ق1) فيما بقي من شعره مما سيأتي لاحقا).

وهو مِن شعراءِ الأسرة العَمْرَانِيَّة الهمدانية العريقة التي عُرفت من بعد تولي أخيه السلطان حاتم بن أحمد بالأسرة الحاتمية، وكان جدُّه عمران بن الفضل الهَمْداني يتصف بالقاضي والخطيب والشاعر والفارس وكان سيدَ قومه، ومن أقوى رجال الدولة الصليحية، وتولى أمر صنعاء ومخلافها للمكرم ثاني ملوك الصليحيين (459-477هـ)[15]، وقُتِل عمران بن الفضل عند باب مدينةِ زَبيد سنة (479هـ) عندما كان يقاتل في صفّ الصليحيين إلى جانب الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي[16]، في بداية عهد الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية.

كان الشاعر محمد بن أحمد بن عمران يعيش قريبًا من الملكة الصليحية السيدة (أروى) بنت أحمد كما يبدو ذلك من شعره، وكان من فرسانِ جيشها المعدودين؛ ذهبَ عُمَارةُ اليمني في تاريخه إلى أنّه كان يُعَدُّ بمئةِ فارس[17]، وله في الفروسية ووصف الفرس بقيةٌ في شعره[18]، وكان كما يبدو من شعره مُخلِصا للدولة الصليحية ولِمَلِكَتِها سيدة (أروى) بنت أحمد ولمذهبها العقدي والسياسي، وله القصيدة (ق5) الآتية فيما بقي من شعره، وفيها وصفٌ لمعركة الجَنَد التي حُوصِر فيها مع ابن نجيب الدولة[19]، وكان فيها من أبرز رؤوس قومه، وهو من بين الفرسانِ الكبار المُقَدَّمينَ، ومنهم عليُّ بن عبد الله بن محمد الصليحي[20]، وكانت علاقة شاعرِنا الفارس وطيدة بهذا الأمير الصليحي الفارس، ولا سيما بعد أنْ أصبحَ الصليحي رجلَ الدولة الأول في ظل راية الملكة الصليحية المُسِنَّة، وعقِب وفاتِها، أخذَ محمد بن عمران يمدحه، ويراسله بكتبٍ يُصَدِّرُها بالشعر. ومما قاله فيه قبل وفاة الملكة القطعة رقم (ق2)، ومدحه لما صارَ إليه الأمر بعد وفاة الملكة سنة 532هـ بالقصيدة (ق6)، وله في الملكة الصليحية مرثية بديعة بقيتْ منها قطعةٌ صالحة هي (ق3).

كل هذه الأحداث تؤكد قرب هذا الشاعر من مركز السلطة في بقايا بلاط الصليحيين، وهذا ما يفسر بُعدَهُ عن المشاركة في الأحداث في منطقة صنعاء التي حكمها مع مخلافِها أخوه السلطان حاتم بن أحمد الهمداني (533-556هـ)[21]، مؤسس الدولة الحاتمية، وكان فارسا حكيما في سياسته، وعالما شاعرا[22].

لم نقف على ذكرٍ لسنةِ وفاة شاعرنا هذا، فضلا عن سنة ميلاده، غير أنّ صيتَهُ كان قد ذاع قبل سنة 500هـ، قال ابنُ أبي الرجالِ وهو يتحدث عن الشاعر محمد بن إبراهيم السّمَيْدَع البحيري (ت حوالي:500هـ): «وهو شاعر مشهور، بينه وبين محمد بن أحمد اليامي صِنْو[23] حاتم بن أحمد "مُشاعرات" وكان في محمد بعض الاختلال»[24]، ويتكئ الشامي على ابن أبي الرجال فيرى أنّ الشاعر محمد بن حسن الطثير الحضوري المتوفى حوالي سنة 530هـ من معاصري محمد بن أحمد بن عمران كابن عليان[25]، فإذا كان مشوارُ مشاعراته مع البحيري، قد بدأ قبل وفاة

البحيري بعشر سنوات تقريبا أي سنة 490هـ على الأقل، فإنّ الشاعر محمد بن أحمد بن عمران لا بدّ أنْ يكون قد قضى من عمره قرابة خمسٍ وعشرين سنة على الأقل قبل ذلك التاريخ، لكي يصبح من الشعراء المعدودين والرجال الناضجين، ولذا فمن المحتمل أنْ يكون ميلاده في حدود سنة 465هـ

فإذا نظرنا للعام الذي مات فيه الشاعر المنافر له وهو عام 500 هـ فسيكون الشاعر محمد بن أحمد بن عمران الهمداني في ذلك الحين في عامه الخامس والثلاثين، وكان قد وقع في ضائقة حصار مدينة الجَنَدِ[26] مع ابن نجيب الدولة المصري، حين كان عمره نحو (52 سنة)، وكان قد قام برثاء الملكة الحرة الصليحية (سنة 532هـ)، وعمره حين ذاك قريبا من (65) خمس وستين سنة. وإذا تحقق حدسُ أحمد الشامي أنه توفي نحو سنة (540هـ)[27]، إذ يبدو أن الشامي بنى رأيه على عبارة طفيفة قالها الإمام الهادوي أحمد بن سليمان (532-565هـ)[28]، وأوردها الثقفي في سيرة هذا الإمام، الذي أشار إلى السلطان حاتم بن أحمد الهمداني، عندما قال: « وقد هجانا أخوه الذي مات طريدا لنا»[29] وكان ذلك قريبا من سنة 540هـ، وعليه فإن الشاعر محمد بن أحمد بن عمران يكون قد تجاوز سِنَّ السبعين من السنوات، ولذا فإن هذا الشاعر الفارس يكون قد عاش نحو (75 سنة) فيما بين عامي (465- 540).

من أدواره في الأحداث:

لم ينلْ محمد بن أحمد بن عمران الشاعر الفارس من اهتمام المؤرخين ومتعقبي الأدبَ وأخبار الرجال ما كانَ يستحقه، وربما عادَ السببُ إلى أنه كان مُندفِعًا إلى تأييدِ الدولة الصليحية، في زمنٍ كانتْ قد فقدتْ فيه قُوَّتَها، وكان الضعفُ قد أخذ يسري في أوصالِها، وكان هذا الشاعر الفارس لا يُخفي تأييدَه لمذهبها الإسماعيلي، في حين أن الدعوة إليه كانتْ قد مالتْ إلى القولِ بِسِتْرِ إمام الإسماعيلية (الطيِّبِيَّة)[30] في اليمن، بعد ما ظهرَ الخلافُ على منصبِ الخليفةِ الفاطمي في مصر، وما كان من حادثةِ قَتْلِ الخليفة الآمر في سنة (524هـ)[31].

يبدو أن مسألةَ فكِّ عُرَى الارتباط بين الدولة الصليحية في اليمن وبين الدولة الفاطمية في مصر كانت قد ترسَّختْ في ذهن الملكةِ الصليحية وهي في سنِّ التمام من سنوات عمرها الأخيرة، فَرَفَضَت الاعترافَ بالخليفةِ الفاطمي عبد المجيد (524-544هـ)، قال حسين الهمْداني: «وظلَّت الملكةُ الحُرَّةُ تحافظُ على ولائِها للإمامِ الطيِّب [بن الآمر] ودعوته... وليس من المستبعد أنّ الملكة ورئاسة الدعوة في اليمن كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب»[32]، الذي كان طفلا في المَهْد حينما قتل والده الآمر، وقد قيل إنَّ الملكة الصليحية كانت تكفله[33]. ولا شك في أن موقف الملكة الصليحية هذا كان قد أثار حفيظة المتنفذين في الدولة الفاطمية المجيدية في مصر الذين كانوا يحاربون الدعوة الطيبية بشدة، بحسب الهمداني[34]، ولذلك قطعوا عنها تأييدهم.

وما دعانا إلى ذكر هذه الأحداث هو أنها تفسر بعض ما جاء في شعر هذا الفارس الهمداني، ولا سيما ما وردَ في القصيدة التي قالها في رثاء الملكة الحرة.

وربما كان تولي السلطان حاتم بن أحمد صنعاء وقد خرج من الباطنية ما جعل الشاعر الفارسَ محمد بن أحمد يمسي في عدادِ العَهْدِ الماضي، الذي سَكَنَتْ ريْحُهُ، وخَمَدَتْ جذوةُ ناره مع سكون الدولة الصليحية، إذ لم يُعرفْ بعد سنة 532هـ أنه اشترك في شيء من الأحداث، وهو الذي كان معدودا بمئةِ فارسٍ كما سبقتِ الإشارة.

ثالثًا: ما بقي من شعره

(ق1)[35] البسيط

1 رَبْعٌ عَفا لِعِهَادِ الْمُزْنِ مَعْهَدُهُ حتّى تنَكَّرَ عمَّا كنتُ أعْهَدُهُ[36]

2 مُعَدَّلُ القَدِّ وَافِيهِ مُقَوَّمُهُ مُنَوَّرُ الخَدِّ صافِيهِ مُوَرَّدُهُ[37]

3 نَضْرُ الْمُحَيَّا يكادُ الدرُّ يَجْرَحُهُ رَخْصُ البنانِ يكادُ اللينُ يَعْقِدُهُ

4 يسمُو فيُنْصِبُهُ غصنٌ ينُوءُ بهِ حِينًا ويجذِبُهُ حِقْفٌ فيُقْعِدُهُ[38]

5 ووَجْدُ ذي الشّوْقِ يُبدِيهِ تَذَكُّرُهُ عنـــدَ الْخُلـــوّ ويُخْفِيـــهِ تَجَـــلُّدُهُ

(ق2) [39] البسيط

ووجَّهَ إلى علي بن عبد الله الصليحي في صدرِ كتابٍ[40] قوله:

1 يا مَنْ إليهِ عيونُ الناسِ طـــامِحَةٌ ومَـنْ لدولتِـهِ الحُـسَّابُ تَنْتَـظِرُ[41]

2 أنتَ العَرِيفُ بأسْرارِ المُلوكِ[42] ذوي الْـ أَحْسـابِ والشَّـرَفِ الوَضَّـاحِ إنْ ذُكِـروا

3 وأنتَ مِنْ دَوْحَةِ الأَصْلُوحِ[43] نَبْعَتُـها والأصـلُ تُشـبِهُهُ الأغصـانُ والثّمَـرُ

4 عليكَ منّـي سـلامُ اللهِ مـا طَلَـعَ السَّـ ـعْدانِ والشمسُ والنَّحسَانِ والقمرُ

(ق3)[44] الطويل

وقال في رثاء الملكة سيدة [أروى] بنت أحمد الصليحي:

1 نـأتْ ربَّـةُ القَـصـرِ الشـريفِ عـنِ القـصـرِ فأَيْـأَسَ راجي النّصـرِ فـيهِ عـنِ النّصـرِ[45]

2 إذا اجْتَثَّ دهـرُ السّـوْءِ[46] دَوْحَـةَ روضَـةٍ[47] فقُـضْبانُها[48] لا تَسـتَقيمُ على الْهَضْـرِ

3 سَـخِطْتِ على أهـلِ الزمـانِ لِفِـعْـلِهِمْ حَقِيقُـونَ أهـلُ العَصـرِ يا ربـةَ العصـرِ

4 فصـاروا بـلا نُـورٍ يَتِـيهونَ فِـي العَـمَى وذلِـكَ تَمْـثيـلٌ لـمَا كـانَ فِي مصـرِ[49]

5 فكـمْ ظُلْـمةٍ يَغْـشَـوْنَـها ومَـضَلَّـةٍ وكـمْ إصْـرِ ذَنـبٍ[50] يحملـونَ على إصْـرِ

6 رَجَوْنـا بِـها بَـدْءَ الظُّهُـورِ ونَشْـرَه فَعُـدْنا إلى السِّتْـرِ الحَقـيقيّ والحَصْـرِ

7 وقـدْ يَنقُـصُ التيَّـارُ[51] مِـنْ بعـدِ مَـدِّهِ ويضْطَـرُّ حَـرفُ[52] المَـدِّ حينًا إلى القَصـرِ

8 فـذاكَ كُسُـوفُ الشـمسِ قـدْ طـالَ مُكْـثهُ وهـذا خُسـوفٌ دائمُ المُكْـثِ للبـدرِ[53]

9 وذاكَ سَـــرَارٌ لا انْجِـــلاءَ لليلِـــهِ وهـذا مَحَـاقٌ ليـسَ يُسْـفِرُ عـنْ فَجْـرِ[54]

10 ونرجُو فُروعًا ثَمَّرَ اللهُ نَبْتَها وأيَّدَها بالنصرِ والفَتحِ والقَهرِ[55]

11 لَهمْ وبِهمْ رَجْوَاءُنا وسُلُّوُنا لأنَّ رجَاءَ اليُسرِ في عَقِبِ العُسرِ

12 ووارثُ أمْلاكِ الأنامِ وسِبْطُهمْ عليُّ بْنُ عبدِ اللهِ عالي ذُرَى الفَخْرِ

13 فصبرًا علَى رَيْبِ الزمانِ وصَرْفِهِ فأوْفَرُ أهلِ الأجْرِ حَظًّا أُولُو الصّبْرِ

(ق4)[56] الطويل

وقال في وصف الخيل:

1 وصَفَراءَ تَلْبِينُ الشّكِيمَةِ سَوْطُها إذا الخْيلُ لاحَتْ جَانِبَيْها سِياطُها

2 تمُرُّ عَلَى مِثْلِ السِّراطِ اسْتِقامَةً إذا اعْوَجَّ مِنْ جَرْيِ الهِجَانِ سِراطُها

3 فمِنْ قائلٍ: ما الحسنُ إلا انْقِباضُها ومِنْ مُقْسمٍ ما الجُودُ إلّا انْبِساطُها

4 يكادُ يُطِيشُ الحِلْمَ مِنّي سِفَاهُها مِرارًا ويَسْتَوْهِي وَقَارِي نَشَاطُها

(ق5)[57] الطويل

كان محمد بن أحمد بن عمران على رأس كتيبةٍ من قومه في جيش الملكة الصليحية، وفي صف ابن نجيب الدولة الذي حُوصر في الجَنَد سنة 518هـ، فأنقذته الملكة الصليحية بتدبيرٍ انقشعت عنه غُمّتهم، قال هذه القصيدة في قصة حاله، وأرسل بها إلى أهله:

1 خَلِيلَيَّ إنّي قد قصصْتُ عليكُما مع الرّكبِ مِن أنبائِنا ما تقدَّما

2 وها أنَا واللهُ المُوفِّقُ مُورِدٌ مِن القولِ ما يَشْفِي الغَليلَ الْمُضَرَّما

3 ومُهْدٍ سَلامًا كالرياضِ تَأَرَّجَتْ وفَتَّحَ منها الرَّشْحُ نَوْرًا مُكَمَّما

4 وإنْ نَسِيَ الإخوانُ بأْسًا وقَسوةً خَليلًا رمَى غَوْرًا ونجدًا فأتْهَمَا

5 فلم يُنْسِني بُعْدُ الدِّيارِ وِدَادَكُمْ[58] ولا مَسْلَكِي شَرقًا وغربًا مُقَدَّما

6 ولم أنْسَكُمْ والنَّبْلُ حَوْلِي كأنَّها سِراعُ يَعَاسِيبٍ فُرادَى وتَوْأَمَا[59]

7 وَرَشَّ جِيادَ الخَيلِ مِنَّا ومنهمُ خِضَابُ دَمٍ قانٍ يُخَيَّلُ عَنْدَما[60]

8 أبثُّكُمَا أنَّ الغُوَاةَ تَألَّبُوا[61] علينا وقادُوا كُلَّ أنْكَدَ أشْأما

9 عَساكِرَ فيهم[62] كلُّ ضِدٍّ وناصِبٍ وغاوٍ ومُرْتَدٍّ يَرَى النورَ مُظلِما

10 جُمُوعَ عُبَيْدِ اللهِ ظُلْمًا ورِدَّةً وجُنْدَ يزيدٍ سَطْوَةً وتَغَشُّما[63]

11 ولَمَّا تَوَافَى القَوْمُ مِن كلِّ وُجْهَةٍ وفجٍّ وأمسَى كلُّ حِزبٍ[64] مُخَيِّمِا

12 وأعْجَبَهُمْ آراؤُهمْ وجموعُهمْ وأصبحَ مِنهمْ ثعلبُ القومِ ضَيْغَما

13 أشاحُوا مِن الشِّيحانِ صُحًّا[65] وجَنَّدوا لِلَاجْنادِ[66] جُنْدًا كالجَرادِ عرمرَما

14 صُفوفَ قِسِيٍّ خلفَ [صَفِّ] ضَوامِرٍ وصفٍّ يهزُّونَ الوَشِيجَ[67] المُقَوَّما

15 كمثلِ أعَاصِيرِ الدَّبَى[68] أو كَوَابلٍ مِنَ المُزنِ أو أمْواجِ بحرٍ تلَطَّما

16 وحامتْ عُقابُ الحَربِ فينا وفيهُمُ فَظَلَّتْ لها طيرُ المَرَاكِزِ[69] حُوَّما

17 فَرَدَّهُمُ جَيشُ الإمامِ وحِزْبُهُ[70] وقد أَمْطَروا صَخْرًا علينا وأسْهُما

18 بِوَابِلِ نَبْلٍ كالعَجَاجِ سَحَابُهُ وبَارِقُهُ لَمْعُ الظُّبَا[71] حينَ أسْجَما

19 وتَدبيرُ داعِيهِ المُوفَّقِ[72] إنَّهُ كَمِيٌّ[73] إذا ما أبْرَمَ الأمرَ أحْكَما

20 وفلَّتْ شَبَاهُمْ[74] عُصْبَةٌ مَذْكَرِيَّةٌ[75] ترَى الصبرَ في يومِ الكَرِيهةِ[76] مَغْنَما

21 تُحَامِي على أحْسَابِها وعُهودِها وبُنْيانِ سَامِي مَجدِها أنْ يُهَدَّما

22 فوَلَّوا فِرارًا بعدَها وتفرقُوا وأدبَرَ قِرْمَاهمْ[77] جَميعًا وأحْجَما

23 ولا يَسْتَوي حِزْبُ الإمامِ وجُندُهُ وأتْبَاعُ مُرتدَّيْنِ خانَا وأجْرَما

24 فذاكَ نَبَا ما كانَ مِن عِلْمِ حالِنا وأخْبارِنا صِدقًا إلى الآنَ فاعْلَما

25 وصلَّى علَى خيرِ الأنامِ محمدٍ وأبْنائِهِ اللهُ العَظيمُ وسَلَّما

(ق6) [78] البسيط

ولَّتِ الملكةُ السيدة أروى بنت أحمد الصليحية عليًّا بنَ عبدِ الله بن محمد الصليحي ما كان إلى ابن نجيب الدولة بعد إعادته إلى مصر، وأقامته لحرب الخصوم، والدفاع عن دولتها، ونُعِتَ بفَخْرِ الخلافة، فقال محمد بن أحمد بن عمران يمدحُه:

1 يا غاديًا مُزمعًا[79] في السيرِ مُعْتَزِما لا يتَّقِي الأيْنَ[80] والوَعْثاءَ والأَلَما

2 يطوي الصفاصِفَ مُختارًا لِطيشتهِ بذي رسيمٍ يفوقُ الأينقَ الرُّسَما[81]

3 عبلٌ سَموحٌ طَمُوحٌ سَهْلَبٌ أربٌ يعلو الرُّبَا ويجوزُ السهلَ والأَكَما[82]

4 يظلُّ للأمْعَزِ الصوانِ مُنْتَعِلًا وللمحازِمِ والغيطانِ مُخْتَرِما[83]

5 يُخالُ في الهضبِ عَوْدًا أعْصَمًا رَقِلًا[84] وفي الفَلا شَبَبًا في وابلٍ شَبِما[85]

6 يؤمُّ بالوَخْدِ أعلامَ الصُّوَى طَلِقًا إلى الذي صارَ في دينِ الهدى علَما[86]

7 واصِلْ مَسِيرَكَ بالآصالِ مُنْسَرِحًا إلى الدُّجَى، وصِلِ الأصباحَ والظُّلَما

8 واحملْ سلامي إلى المختارِ عن كثَبٍ فخرِ الخلافَةِ والْثُمْ كفَّهُ أَمَما[87]

9 نَدْبٌ سَما للمعالي وهي شامِسَةٌ وأرْعَفَ الصارمَ الهنديَّ والقَلَما[88]

10 وحَازَ مِنْ نَسَبِ الأصْلُوْحِ ذُرْوَتَهُ وحاشدٍ واعْتَلَى الهاماتِ والقِمَما

11 رئيسُ همْدانَ بلْ كهلانَ أجْمَعِها بلْ قَرْمُ قَحْطَانَ حازَ العِزَّ[89] والكرَما

12 أوْفَى بني الدهرِ في شامٍ وفي يَمَنٍ قولًا وفعلًا وأعلَى يَعْرُبٍ هِمَما

13 ومنْصِبًا ومحلًا شامِخًا وعُلا عندَ الفَخَارِ وأسْنَى رَهْطِهِ شِيَما[90]

14 لَمَّا رأى اللهُ رُكْنَ الدينِ مُنْهَدِمًا والعدلَ مُهْتَضَمًا والحقَّ مُخْتَرَما

15 حَبَاهُ بالرُّتْبَةِ العُليا وشرَّفَهُ بدعوةِ الدينِ حتى عَزَّ وانْتَظَما

16 وساقَهَا نحوَهُ عَفْوًا لطاعَتِهِ وحُسنِ سِيرَتِهِ كَهْلًا ومُحْتَلِما

17 فَدُونَكَ الدُّرَّ مَنْظومًا مَحَاسِنُهُ يُعْيِي الشُّناةَ ويَجلُو نُورُهُ الظّلما[91]

18 فأحْيِها كلّما ناحتْ مُطَوّقَةٌ ولا تُمِتْهُ فيَمْضي سِلْكُهُ رِمَما[92]

رابعًا: دراسة شعره

أتتْ آفة التَّلَفِ والضياع على جُلِّ شعر محمد بن أحمد بن عمران الهمداني وعلى كلِّ رسائله، غير أن ما بقي من شعره، وتيسر لنا جمعه هو (69) تسعةٌ وستون بيتا شعريا، موزعة على (6) ست قوافٍ متفاوتة الطول ما بين قطعة وقصيدة، وقد نظمها على وزنين مشهورين هما الطويل 42 بيتا، والبسيط 27 بيتا، ولا شك أن من يجيد النظم على هذين البحرين الشعريين يكون قد نظم على غيرهما كثيرا من الشعر.

موضوعات شعره:

الموضوعات التي تناولها فيما بين أيدينا من شعره هي:

الأول: الوصف

نبدأ بالوصف ففيه يتحقق الصدق بدرجة عالية وذلك لما يتمتع به الشاعر من القول المعبر عن المشاعر من غير اعتبار كبير لضغوط الآخر، يليه فيما أحسب من الصدق -هاهنا من هذه الناحية- الرثاء، ثم يأتي الغزل، ومن بعده نتعرض للمدح.

حاز الوصف النصيبَ الأوفر مما بقي من شعر الشاعر، جاء منه قصيدةٌ عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتا، وهي القصيدة رقم (ق5)، وهي في وصف إحدى معارك الشاعر وهو يقود قومه الهمدانيين وهم كتيبة في جيش الدولة الصليحية، وكانت تلك المعركة في الجَنَد، سنة 518هـ. وكان يقودها ابن نجيب الدولة المذكور سابقا.

أ- وصف المعركة

يسرد الشاعر الأحداث في هذه القصيدة على شكل قصة، يبدأُها بمطلعٍ مُصَرَّع، ويختمها بالصلاة على النبي، وهذا يشير إلى أنّ القصيدة كاملة، وتتكون من الأقسام الآتية:

1- المقدمة: وفيها يشير إلى أنه وهو في مخلاف الجَنَد قد سبق أنْ قصّ أخباره السابقة وأرسلها إلى أهله فيما تقدم، وأنه في هذه القصيدة سيوافيهم بالجديد من أخباره وأخبار قومه من المقاتلين الذين معه، وبما يشفي غليل المتعطش لمعرفة ما هو عليه ويسعد المتشوق لمعرفة أحوالهم، وأنه يهديهم السلام العاطر، فقال:

1 خَلِيلَيَّ إنّي قد قصصْتُ عليكُما مع الرّكبِ مِن أنبائِنا ما تقدَّما

2 وها أنَا واللهُ المُوفِّقُ مُورِدٌ مِن القولِ ما يَشْفِي الغَليلَ الْمُضَرَّما

3 ومُهْدٍ سَلامًا كالرياضِ تَأَرَّجَتْ وفَتَّحَ منها الرَّشْحُ نَوْرًا مُكَمَّما

ومما يثير الانتباه أنه أشار إلى أنه سيقص في القصيدة حكايته وأخباره وأفعاله، إنه إذن يعد بالقص على شكل من أشكال السرد الشعري، فهي إذن قصة في قصيدة، يغلب عليها التعبير الشعري المتمثل في العدول إلى المجاز، فالقول يشفي الغليل المُضَرّم، ويسعد الخليل المقدم، واستعار الشفاء من باب الدواء وجعله للقول، وهو يهدي السلام مُشَبِّهًا إياه بحديقة أو روضة انتشر عطر أزهارها فيما حولها، وكان رشح الماء قد مرَّ من بين براعم الأزهار وفتّح أوراقها الغافية النامية، فتفتحتْ عن ألوان جذابه وروائح مُغرية تستدعي النظرَ ليرَى والأنفَ ليشُمّ، ولينتشي الناظر المقترب من تلك التحايا ويتحقق له الجمال المبهج.

2- اللوم والعتاب: وفيه يشير الشاعر إلى تشاغل إخوته وقومه في مخلاف صنعاء بمواجهة خصومهم ببأس وقسوة، ونسيانهم له وهو في غُربته عنهم مع فريق من قومهم، وأنه ما نسيهم على الرغم من خوضه للمعارك الضارية، التي يتخضب فيها المقاتلون وخيولهم بدماء خصومهم وبعيدا عن أهلهم، قال:

4 وإنْ نَسِيَ الإخـوانُ بـأْسًا وقَسـوةً خَلـيلًا رمَى غَـوْرًا ونجـدًا فأتْهَـمَا

5 فلـم يُـنْسِني بُعْـدُ الـدِّيارِ ودَادَكُـمْ ولا مَسْلَـكِي شَـرقًا وغـربًا مُقَـدَّما

6 ولـم أنْسَـكُـمْ والنَّـبْلُ حَـوْلِي كـأنَّها سِـراعُ يَـعَاسِـيبٍ فُـرادَى وتَوْأَمَـا

7 وَرَشَّ جِـيادَ الخَـيلِ مِنَّـا ومنـهمُ خِضَـابُ دَمٍ قـانٍ يُخَيَّـلُ عَنْـدَما

وفي هذه الأبيات من جمال الأسلوب ما يروق القارئ، ومن ذلك في (ب4) حُسُن التعليل؛ وهو«أنْ يُذْكَرَ وصفانِ، أحدُهما لِعلَّةِ الآخر، ويكون الغرض ذكرهما جميعا[93]» فإنه برر نسيان قومه إيّاه بأنهم منشغلونَ عنه بما يواجهون به خصومهم من المنازلة في ساحة القتال، ويبرر بعده عنهم بأنه من ذوي البأس أيضا لكنه اتجه إلى موطن مُلْكِ الصليحيين في المنطقة الجنوبية الغربية وهي منطقة وديان عميقة وتَهَائم وهي السهول الساحلية اليمنية وهي حارة الجو، وفي (ب6 و7) يلمس القارئ التلاقح التناصي مع قول عنترة:

ولقـد ذكرتُـكِ والرمـاحُ نواهـلٌ مني وبـيض الهند تقطر من دمي

فـوددتَ تقبيـل السـيوف لأنهـا لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسـم[94]

وشبه في (ب7) ما رُشُّوا به من دمهم ودم أعدائهم بلون العندم وهو صبغ دم الأخوين من تلك الشجرة الموجودة في سقطرى.

3- في الأبيات من (8-16)

8 أبثُّـكُمَا أنَّ الغُـوَاةَ تَـألَّبُـوا عليـنا وقـادُوا كُـلَّ أنْكَـدَ أشْـأما

9 عَساكِرَ فيهم كلُّ ضِدٍّ وناصِبٍ وغاوٍ ومُرْتَدٍّ يَرَى النورَ مُظلِما

10 جُموعَ عُبَيْدِ اللهِ ظُلْمًا ورِدَّةً وجُنْدَ يزيدٍ سَطْوةً وتَغَشُّما

11 ولَمَّا تَوَافَى القَوْمُ مِن كلِّ وُجْهَةٍ وفجٍّ وأمسَى كلُّ حِزبٍ مُخَيِّما

12 وأعْجَبَهُمْ آراؤُهمْ وجموعُهمْ وأصبحَ مِنهمْ ثعلبُ القومِ ضَيْغَما

13 أشاحُوا مِن الشِّيحانِ صُحًّا وجَنَّدوا لِلَاجْنادِ جُنْدًا كالجَرادِ عرمرَما

14 صُفوفَ قِسِيٍّ خلفَ [صَفِّ] ضَوامِرٍ وصفٍّ يهزُّونَ الوَشِيجَ المُقَوَّما

15 كمثلِ أعَاصِيرِ الدَّبَى أو كَوَابلٍ مِنَ المُزنِ أو أمْواجِ بحرٍ تلَطَّما

16 وحامتْ عُقابُ الحَربِ فينا وفيهُمُ فَظَلَّتْ لها طيرُ المَرَاكِزِ حُوَّما

وصف الشاعر الفريق المعادي بصفات الضّدّ التي تشير إلى بروز فريقهم في جهة السلب وفريقه بجهة الإيجاب، فأعداؤه فيهم كل غاوٍ وضدٍّ وناصبي وغاوٍ ومرتد، فهم يشبهون أتباعَ عبيد الله (بن زياد)، وجند يزيد في سطوتهم وغشمهم يوم كربلاء، وأنهم تداعوا من كل جهة وتحزبوا وتجمعوا، وأقبلوا بكثرة معجبَةٍ بنفسها وبقوة ضاربة من الخيل والرَّجِلِ، إنهم في رأيه يشبهون الأعداء التاريخيين؛ الذين ناصبوا العلوية والفاطمية العداء، أو أنهم منهم، وهذه الأوصاف تشير إلى أنه في الجانب الواقف أمام تلك العداوة التاريخية، ويشمل ذلك الجانب كل القوم الذين اجتمعوا لمناصرة الملكة الصليحية والإبقاء على دولتها، ومما يلفت الانتباه، أنّ الملكة تحسب الفريقين من رجالها، وأنّ كل الذين وصفهم ما حاصروا هذا الشاعر الفارس ومن معه من قومه وابن نجيب الدولة وعلي بن عبد الله الصليحي وغيرهم إلا بإيعازٍ ورأي منها؛ لِفَلِّ شوكة ابن نجيب الدولة الذي قال إنها قد فقدت الصواب، وأراد الانقلاب عليها، وإنها هي التي دبرتْ الأمر كله، فلما ثبت لابن نجيب الدولة ومن معه أن النجاة ستأتي بتدبير منها عملت على فك الحصار على ابن نجيب الدولة والشاعر ومن معه من قومه.

وللشاعر تفنن في التشبيه في هذه الأبيات، كما رأينا في تشبيه أعدائه بأنهم يشبهون جموع عبيد الله، وأنّ وجه الشبه هو الظلم والردة والسطوة والغشم، ويتابع التشبيه بقوله: "وأصبحَ منهمْ ثعلبُ القومِ ضَيْغَما" فالضعيف الماكر من الأعداء كالثعلب غدا بين جموعهم يتشبه بالضيغم (الأسد)، وقوله:

" كمثلِ أعاصيرِ الدَّبَى أو كـوَابلٍ مِنَ المـزنِ أو أمـواجِ بحـرٍ تلطَّما"

فكثرة أعدائه مثل الجراد، والمطر وموج البحر يلعب به الإعصار، من حيث الكثرة والضرر، وفي (ب16) يكني عن اشتداد المعركة وكثرة القتلى بمراقبة الطيور الجوارح وهي تحوم فوقهم من "عُقاب الجو" والنسور "طير المراكز" التي تتربص الفرص للانقضاض على جثث القتلى، وبين بيت الشاعر وبيت النابغة الذبياني:

إذا ما غزوْا بالجيشِ حلَّقَ فوقَهمْ عَصائبُ طيرٍ تهتدِي بِعَصائبِ[95]

ارتباط تناصيّ وتأثير واضح في الأخذ، يدل على عمق تأثر الشاعر العمراني بالشعر العربي القديم من جاهلي وإسلامي وما تلا ذلك.

4- وصف الذين كان الشاعر معهم في المعركة

فبعد ما صور قوة عدوه الصاخبة أخذ يدّعي أنّ الجيش الذي هو فيه، ما هو إلاّ جيش الإمام، وقصد بالإمام أعلى سلطة في دولة الفاطميين، لأن الشاعر يتبنى المعتقد الفاطمي، ويرى أن مباركة إمامه الإسماعيلي هي التي مكّنت القوم الذين معه من النصر، مع استعمالهم آلات الحرب الفعالة؛ من نَبْلٍ شكّل تصاعدها فوق أرض المعركة وانحناؤها نحو العدو ما يشبه الغبارَ المتلاحمَ كالسحاب، وذلك كما في الأبيات يقول:

17 فَـــرَدَّهُمُ جَـــيشُ الإمـــامِ وجِـــزْبُهُ وقـد أَمْطَروا صَخْرًا علينا وأسْـهُما

18 بِـوَابـــلِ نَبْـــلٍ كالعَـــجَاجِ سَحَابُـــهُ وبَارِقُـهُ لَـمْعُ الظُّبَا حـينَ أسْـجَما

19 وتَدبيرُ داعِيهِ المُوفَّقِ إنَّهُ كَمِيٌّ إذا ما أبْرَمَ الأمرَ أحْكَما

20 وفلَّتْ شَبَاهُمْ عُصْبَةٌ مَذْكَرِيَّةٌ ترَى الصبرَ في يومِ الكَرِيهةِ مَغْنَما

21 تُحَامِي على أحْسَابِها وعُهودِها وبُنْيانِ سَامِي مَجدِها أنْ يُهَدَّما

وفي الأبيات يشير الشاعر الفارس إلى أنّ مبعوث الخليفة الفاطمي قائد المعركة الموفق (ابن نجيب الدولة) بشجاعته قد أحسن تدبيرها، ثم أخذ الشاعر يفخر بكتيبته من قومه الهمدانيين (عصبةٌ مَذْكَرِيَّةٌ)، نسبة إلى مَذْكَر أحد جدود الهمْدانيين وبانعطافتهم في المعركة على الأعداء، وما أبلوه في المعركة من البلاء الحسن حماية لمجدهم التليد، وحفاظا على عهودهم بنصر الملكة الصليحية، وحماية لدولتها من التهافت والتهدم.

5- ختام القصيدة

ويختتم الشاعر القصيدةَ فيشير إلى أنَّ المعركة قد أسفرت عن فرار الأعداء وتفرقهم عائدين من حيث أقبلوا، فيقول:

22 فوَلّوا فِرارًا بعدَها وتفَرقُوا وأدبَرَ قِرْمَاهمْ جَميعًا وأحْجَما

23 ولا يَسْتَوي حِزْبُ الإمامِ وجُندُهُ وأتْبَاعُ مُرتدَّيْنِ خانَا وأجْرَما

24 فذاكَ نَبَا ما كانَ مِن عِلْمِ حالِنا وأخْبارِنا صِدقًا إلى الآنَ فاعْلَما

25 وصلَّى علَى خيرِ الأنامِ محمدٍ وأبْنائِهِ اللهُ العَظيمُ وسَلَّما

ويعودُ على ما كان قد ذكره من تصنيف الفريقين، إلى موالين ومارقين، وينهي الحكاية بالإشارة إلى أنّ هذه القصيدة ما هي إلا رسالة يصف فيها ما كان من أخباره والأحداث التي كادت أن تحيط به، ويغلقها بالصلاة على النبي وأبنائه.

ب- وصف الفرس

الفرسُ رفيق الفارس الودود ومُعينه اللبيب، وكل فارس نبيل يدرك المكانة الكبيرة لفرسه عنده، ولذا فإنه تنشأ علاقة تفاهم وتناغم ومودة بين الفارس والفرس، وقد ظهرت هذه المودة

واضحة في وصف الشعراء للفرس، وما تتبعوه من مزاياها الخَلْقية والخُلُقية، ومنهم شاعرنا محمد بن أحمد بن عمران، غير أننا لم نظفر من شعره في وصف الفرس إلا على قطعة قوامها أربعة أبيات هي (ق4)، التي قال فيها:

1 وصَفَـراءَ تليـنُ الشّكِيـمَةِ سَـوْطُها إذا الخْـيلُ لاحَـتْ جَانِبَـيْها سِـياطُها

2 تمُـرُّ عـلَى مِثْـلِ السِّـراطِ اسْتِـقامَةً إذا اعْـوَجَّ مِـنْ جَـرْيِ الهِجَـانِ سِـراطُها

3 فمِنْ قائلٍ: ما الحسـنُ إلا انْقِباضُها ومِـنْ مُـقْسمٍ مـا الجُـودُ إلّا انْـبِساطُها

4 يكـادُ يُطِـيشُ الحِلْـمَ مِـنِّي سِـفَاهُـها مِـرارًا ويَسْـتَـوْهِي وَقَـارِي نَشَـاطُها

إنّ أول وحدةٍ لغوية تواجهنا في هذه القطعة هي (الواو) التي لا تشير إلى العطف، وإنّما تحمل القارئ على أنْ يستحضر في ذهنه صورة فرس صفراء اللون، والصفرة في الخيل هي الصُّهْبة (الذهبية)، فهي إذن ذات لونٍ مدهش، ويضيف أنّ تلك الفرس لا تحتاج إلى الحثّ على العدو بالفارس والمناورة باستخدام الضرب بالسوط، كغيرها من الخيل التي لا تؤدي هذه الوظيفة إلا إذا لَسَعت السياطُ جانبيها، فهي بحسب رأي الشاعر تتصف بالأصالة والكرم والعتق.

إنها تدرك بحسها اليقظ وفطنتها مرادَ صاحبها، فتأخذ في السيرة على الطريق الذي يوجهها فيه بالهمس لها واللمس على جانبيها بقدميه، ووجه البيت (ب2) للموازنة بين استواء هذه الفرس في العَدْو على السراط المُراد، وبين غيرها التي تتأرجح في سيرها فتدعو فرسانها للانشغال عن مهامهم بإعادتها إلى سواء السبيل كلما انحرفت عن الطريق بسببٍ من جهات ضلالها، إلى الطريق المراد، وفي (ب3) يرى الشاعر فرسه هذه بعيون الفرسان الآخرين من الخبراء بالفرس والفروسية، ويثير قوة حبه لها استحسانهم البالغ الغاية لانقباضها عن الحركة لحظة يشير إليها الفارس بذلك، وانبساطها في السير والْتِفافها في ساحة النزال، بحسب توجيه فارسها، أو أنها تحدس مراده فتلبيه بلياقة ولباقة رائعة، ويبلغ انفعال الشاعر مداه في (ب4) عندما يُعْلِمُ المتلقي أنّ عقله يكاد

يطيش مرارا بسبب (سِفَاهِ) فرسه أي نشاطها وخِفّةُ سيرها وسرعتها العالية التي تكاد تسبق ما لديه من قدرات على السيطرة، لقد حازت تلك الفرس استحسان الذين يشاهدونها، وهذا ما زاد صاحبَها تعلقا بها وحبا لها، وندرك من هذا الوصف مدى ما اجترحته شاعرية هذا الشاعر من حسن استخدام اللفظ العربي المعبر عن جمال الفرس وعن المشاعر الإنسانية نحوها.

الثاني: الغزل

شُغِف العربي في شعره منذ وقت مبكر بتصوير فجيعة الفراق أيًّا كان سببها أو نوعها، لكن الشعراء أكثروا من ربط الفراق بمكان اللقاء، وتذكر الأحباب الذين فارقوهم، ومن ثَمَّ كانت الأطلال نصب أعينهم، تنصب عليها منشآت ذكرياتهم فتُبنَى القصائد مؤسسةً على وصف الطلل، إذ ينفث فيه الشاعر مَطامِحَهُ ومطامعه وأبعاد شخصيته، لكنه يجعله مُفتتحا للغزل كما قال ابن قتيبة؛ ذلك «لأنّ التشبيبَ (الغزل) قريبٌ من النفوس لائطٌ بالقلوب، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء...» [96]، ولاشك أنه كان للشاعر محمد بن أحمد بن عمران شعرٌ رقيق في الغزل بَيْدَ أنّ أكثره قد ضاع مع أكثر أشعاره وأشعار أهل زمانه، لكن القطعة الآتية تشير إلى ما ذهبنا إليه، قال:

1 رَبْعٌ عَفا لِعِهَادِ الْمُزْنِ مَعْهَدُهُ حتّى تنَكَّرَ عمَّا كنتُ أعْهَدُهُ
2 مُعَدَّلُ القَدِّ وَافِيهِ مُقَوَّمُهُ مُنَوَّرُ الخَدِّ صافِيهِ مُوَرَّدُهُ
3 نَضْرُ الْمُحَيَّا يكادُ الدرُّ يَجْرَحُهُ رَخْصُ البنانِ يكادُ اللينُ يَعْقِدُهُ
4 يسمُو فيُنْصِبُهُ غصنٌ ينُوءُ بهِ حِينًا ويجذِبُهُ حِقْفٌ فيُقْعِدهُ
5 ووَجْدُ ذي الشّوْقِ يُبدِيهِ تَذَكُّرهُ عندَ الْخُلُوِّ ويُخْفِيهِ تَجَلُّدُهُ

الرَّبع: المكان الذي كان الشاعر يَرْبُع بربيعهِ وينعم بخيراته مع الأحباب، ويشمل الزمان أيضا، لما يربطه الشاعر بالمزن، ويصبح تذكره من باب التحسر على ما فات، وهذا ما يجعلنا نلاحظ تفنُّنَ الشعراء بتصوير تلك الذكريات التي ارتبطت بأيام الحيوية والنشاط والألفة

المضاعفة الشجية، ولذا ربطوا صورة الطلل بصورة المرأة المحبوبة، ولذا غدا ذكر الطلل رمزًا لوطن السعادة المفقودة بفعل التغير عبر الزمن الذي فيه يُسلب المرءُ كثيرا من مقومات السعادة، ولذا لا ترى ربعًا يذكره الشاعر إلا ويصفه بأنه "عَفَا لِعِهَادِ الْمُزْنِ مَعْهَدُهُ" فتغير بسبب ما تكرر عليه من تتابع مواسم المطر والسيول والرياح فتنطمس آثاره، "حتى تنَكَّرَ عمَّا كنتُ أعْهَدُهُ"، حيث زالت تلك البهجة التي كانت تجري عليه بين الأحباب، وغدا الشاعر يتعجب منكرا للوجه الشاحب الكالح، الذي تنكَّر لشحوبه ذلك المكان، بعد ما كان عليه من طراوة الربيع والشباب والقوة الرغبة.

لقد كان عهد الشاعر بامرأةٍ في ذلك المكان مُعَتدِلةِ القـدِّ وَافِية المحاسن معتدلة الأجزاء مقومة الحسن والملاحة، بلا عيوب تذكر، لها خَدٌّ كالنَّوْرِ مُزْهِرًا، صافٍ مُوَرَّد، نَضْرُ التبسّمِ، ولابتسامتها نضارة ورونق، ولها أسنان درية لؤلؤية، "رَخْصُ البنانِ يكادُ اللينُ يَعْقِدُهُ" لها بنانٌ شديدة النعومة حتى لتكاد تنعقد؛ نظرا لرقتها، ويمد الشاعر النظر ليستجلي مزيدًا من أوصاف المرأة المثال في نظره، فيراها ذات صدر ناهدٍ يعيبها إخفاؤه "يسمو فينْصِبُهُ غصنٌ ينـوءُ بِهِ حِينًا"، وهي ذات كَفَلٍ ليس بالخفي لكنه يكاد يجذبها إلى القعود إذا استقامت، "ووَجْدُ ذي الشوقِ يُبديهِ تَذَكُّرهُ عندَ الْخُلوِّ ويُخْفِيهِ تَجَلُّدُهُ"، هذه هي صورة المرأة التي تسكن وجدانَه، وتبات تجول في ذاكرته، ويضنيه التشوق إليها، عندما يخلو إلى نفسه بعيدًا عن مهام الفارس وتكاليف المهام اليومية من قتال وسياسة.

الثالث: الرثاء

بين أيدينا بقية باقية من مراثي محمد بن أحمد بن عمران، إنها قصيدة واحدة، (ق3) قوامها 13 بيتا، نفث فيها آهاته في فَقْدِ سيدةِ القصر وواهبةِ العطايا للشعراء والفرسان الذين كان ابن عمران من أبرزهم بين رجالها، إنها الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية، التي ماتت في غُرة شهر شعبان سنة 532هـ[97]، فافتتح القصيدة بقوله:

1 نـأتْ ربَّـةُ القَصـرِ الشـريفِ عـنِ القصـرِ فأيْـأَسَ راجي النّصـرِ فـيهِ عـنِ النّصـرِ

2 إذا اجْتَـثَّ دهـرُ السّـوُءِ دَوْحَـةَ روضَـةٍ فقُـضْبانُها لا تَسـتَقيمُ علـى الْهَصْـرِ

بَعُدَتْ صاحبة السيادة والشرف الباذخ الملكة سيدة (أروى) بنت أحمد الصليحية عن قصرها العالي المقام الشامخ الأركان بذي جبلة، بُعدًا لا أمل معه في عودتها، وليس معه غير اليأس مما كان يُرجى منها تحقيقه من النصر والتمكين، لِمَا كانَ لها من حُسْنِ القيادة ومهارة السياسة وتحقيق المآرب، وربما كان هذا مما يراه الشاعر الباطني المعتقد في الملكة من قدرة خارقة على المباركة والتمكين، وأنها من أقوى مصادر النصر والفوز والسعادة. ويرى أن موتها من جنايات الزمن الردي الذي يذهب معه الخِصب ويحل الجدب الشديد الذي قضى على أصل الشجرة العظيمة التي عبر عنها بقوله: (الدوحة)، وسقوط جذع الشجرة يؤذنُ بجفاف فروعها وتكسرها، إنّ الشاعر يرى أنّ دولتها لن تدوم بعدها طويلا، ويعزز الشاعر ما يراه من الذهاب إلى قوتها الخارقة بقوله:

3 سَخِطْتِ على أهلِ الزمانِ لِفِـعْـلِهِمْ حَقِيقُـونَ أهـلُ العَصرِ يا ربةَ العصرِ

4 فصـاروا بـلا نُـورٍ يَتِيهونَ فِي العَـمَى وذلِـكَ تَمْـثِـيـلٌ لـمَا كـانَ فِي مصـرِ

5 فكـمْ ظُلْـمةٍ يَغْـشَـوْنَـها ومَـضَلَّـةٍ وكـمْ إصْـرِ ذَنـبٍ يحملـونَ على إصْـرِ

فكل ما هناك من تراجع وسقوط في رأيه لم يكن سوى أنّ أهل العصر لم يعودوا جديرين بمثلها ملكةً سديدةً قويمة، لذلك صاروا بلا نور يتخبطون في غياهب الظلمات، ويذهب إلى أنّ ما يراه في اليمن من تنصل عن مذهب الدولة الصليحية الباطني ما هو إلا مِثالٌ لما كان يحصل حينذاك في عُقْرِ دار الخلافة الفاطمية بالقاهرة من فِتَنٍ ماحقة تمثل بعضها بقتل خليفتهم الآمر بأحكام الله سنة (524هـ)[98]، وما كان من النزاع السياسي والعقائدي، إذ كانت الخلافات قد هزت الخلافة الفاطمية في مصر، خلال تولّي عبد المجيد الخلافة ما بين (524-544هـ)، وكان قد شاع أنّ للخليفة المقتول الآمر بأحكام اللهِ مولودًا مُوصى له بالخلافة! وكان من الظنون أن الملكة

الصليحية كانت تعلم بمكانه، وأنها كانت تعتقد بإمامته وترفض الاعترافَ بإمامة الوصي عليه والإمام بالوكالة عنه عبد المجيد، وهو الخليفة الفاطمي الحادي عشر[99]؛ وكان عبد المجيد ذا سلطة محدودة بل ربما فقدها في القصر نفسه بعض الوقت، إذ كانت السلطة الفعلية تتقلب بيد مَن يتولى الوزارة[100].

ويبدو أنّ اهتمام الدولة الفاطمية باليمن كان قد تقلص، واتسعت هوة الخلاف بين الملكة الصليحية في اليمن ومركز الخلافة الفاطمية بالقاهرة، كما كانت الملكة تدرك ابتعاد المجتمع الذي تحكمه عن عقيدة دولتها الباطنية الإسماعيلية الفاطمية التي كانت رائجة عند قيام الدولة الصليحية، ولذلك مالتْ الملكة إلى مصانعة الناس وقامت بفصل الدعوة إلى ذلك المعتقد عن سياسة الدولة، وتركتْ بيدها أمر السياسة، وكلفت الذؤيب بن موسى الوادعي بالدعوة[101]، ومما يدل على مصانعتها أهل البلاد ما كان من موقفها مع الفقهاء الذين ثاروا وهم من السُّنّة سنة 504هـ، واحتلوا حِصْنَ الدولة الأول وهو "التَّعْكَر" وعملوا على إشعال الغيض في قلب والي الحصن إذ ذاك، الذي كان في مهمة بعيدة عن الحصن، وأقبل ليخرجهم، فما زادوه إلا غيظا بأن أخرجوا جواريه يرقصنَ ويغنين ويضربن بالدفوف في سقوف قصور الحصن، فاشتاط غضبًا وسقط مَيْتًا، وجاءت إليهم الملكة وحطت قريبا من الحصن وكاتبتهم واستطاعت أنْ تقنعهم بترك الحصن، بعد أنْ لاينتهم وأعطتهم من الهبات وتحقيق المطالب ما أزال حنقَهم فعادوا إلى بلدانهم[102].

وقال:

6 رَجَوْنا بِها بَدْءَ الظُّهُورِ ونَشْرَه فَعُدْنا إلى السِّتْرِ الحَقيقيّ والحَصْرِ

7 وقدْ يَنقُصُ التيَّارُ مِنْ بعدِ مَدِّهِ ويضْطَرُّ حَرفُ المَدِّ حينًا إلى القَصرِ

8 فذاكَ كُسُوفُ الشمسِ قدْ طالَ مُكْثهُ وهذا خُسوفٌ دائمُ المُكْثِ للبدرِ

9 وذاكَ سَرَارٌ لا انْجِلاءَ لليلِهِ وهذا مَحَاقٌ ليسَ يُسْفِرُ عنْ فَجْرِ

وهنا يرى الشاعر أنّ موت الملكة قد سلبَهم أملا طالما تمنوه وهو الظهور على الناس بمقولات عقيدتهم وأنْ تصبح لهم السيطرة على غيرهم، ويذهب إلى أنهم قد عادوا إلى إظهار آراء الآخرين، والتسترِ على آرائهم خوفا من غيرهم، وربما كان ذلك بتأثير ما فعلته الملكة من تحرير دعوتهم عن رعايتها، ويشبه ما حدث من تراجع دعوتهم بتراجع تيّار البحر الذي يتراوحُ بين الجزر والمدّ، ويستمر الشاعر في إبراز صورة الحال الأليمة التي يحسُّ بها بسبب تراجع دعوتهم وموت الملكة، فيصور الأولى بكسوف الشمس الذي يطول مكثه فلا تنجلي للمنتظرين، أما موت الملكة فمثله كالخسوف الذي لا ينجلي أيضًا، ويمضي في التعبير عن عميق حزنه بالكَرِّ على تصوير الأمرين فعودة دعوتهم إلى السرية كاختفاء ضوء القمر في آخر ليلة قمرية من الشهر(السِّرار) إذ تكون تلك الليلة شديدة الظلمة، وزاد فجعلها لا صباح لها، وجعل موت الملكة محاقًا، والمحاق للقمر في آخر ليلة من الشهر يمحق فيه فلا يُرى لا غدوة ولا عشية، وجعل ذلك المحاق لا يسفر عن فجر، يأسًا من رجعة الملكة بعد موتها. ويختم القصيدة بقوله:

10 ونرجُــو فُــروعًا ثَمَّــرَ اللهُ نَبْــتَها وأيَّـدَهــا بالنصــرِ والفَــتحِ والقَهــرِ

11 لَهــمْ وبِهــمْ رَجْــوَاءُنا وسُــلُــوُّنا لأنَّ رجَاءَ اليُسرِ في عَقِبِ العُسرِ

12 ووارثُ أمْـلاكِ الأنــامِ وسِـبْــطُهمْ عليُّ بْنُ عبـدِ اللهِ عـالي ذُرَى الفَـخْـرِ

13 فصـبرًا علَى رَيْـبِ الزمـانِ وصَـرْفِهِ فأوْفَـرُ أهـلِ الأجْـرِ حَـظًّا أُولُـو الصَّبْـرِ

فيعقب على رثاء الملكة وتراجع العقيدة بإثبات الرجاء في مَن صار إليهم الأمر، ويدعو لهم بتأييد الله ونصره، وأن يفتح على أيديهم ما استغلق من الأبواب، ويجعل رجاءه بمنزلة اليسر بعد العسر، كما تقرّرُ الآية الكريمة {إنَّ مع العُسْرِ يُسْرا} [سورة الشرح: 5] ويُذَكِّرُ صاحبَ السلطة بعد الملكة وهو المذكور في البيت (ب12) عليّ بن عبد الله الصليحي، وهو ابن عم زوج الملكةِ الملكِ المكرم، لذلك أقرته الملكة قُبيل موتها على ما بقي من ذخائر ملوك بني الصليحي[103]، ويمدحه الشاعر بأنه عالي المقام في

المفاخر، وفي آخر بيت من القصيدة يدعو الشاعر نفسه وكل محزون على فقد الملكة إلى الصبر على مرارة فَقْدِها، وعلى تراجع مدِّ عقيدته وأتباعها، ويجعل ذلك من ريب الزمان وصروفه التي لا تُرَدّ.

الرابع: المدح

ومما أدركنا من مدحِ الشاعر قصيدته (ق6) وعدد أبياتها 17 بيتا، وقطعة أخرى هي المرقمة (ق2) وقوامها أربعة أبيات، وكذا الأبيات الأربعة الأخيرة من القصيد (ق3) التي كانت في رثاء الملكة الصليحية. ومجموع ما قاله في المدح إذن (25) بيتا، وكلها في مدح الأمير علي بن عبد الله الصليحي، الذي اختارته الملكة الصليحية للدفاع عن دولتها، ونُعِتَ بفخر الخلافة[104]، ولا شك أنّ القصيدة (ق6) كانت أطول مما ذكرنا، وإذا كان الشاعر قد مدح هذا الأمير بهذا المستوى من الشعر فمما لا جدال فيه أنه قد مدح الملكة الصليحية بأجمل القصائد، غير أنّ شعره قد أكلته آكِلَةُ أشعار أهل اليمن القاطنين فيها منذ القدم. ونبدأ النظر فيما نقدر أنّ الشاعر قد قاله أولا، وتلك هي الأبيات (ق2)، التي وجَّهَا إلى علي بن عبد الله الصليحي وأغلب الظن أنّ ذلك كان في أثناء دولة الملكة الصليحية، قال فيها:

1 يا مَنْ إليهِ عيونُ الناسِ طامِحَةٌ ومَنْ لدولتِهِ الحُسَّابُ تَنْتَظِرُ
2 أنتَ العَرِيفُ بأسْرارِ المُلوكِ ذوي الْـ أَحْسابِ والشَّرَفِ الوَضَّاحِ إنْ ذُكِروا
3 وأنتَ مِنْ دَوْحَةِ الأَصْلُوحِ نَبْعَتُها والأَصلُ تُشبِهُهُ الأغصانُ والثَّمَرُ
4 عليكَ منِّي سلامُ اللهِ ما طَلَعَ السَّـ ـعْدانِ والشمسُ والنَّحسَانِ والقمرُ

فالشاعر في البيت الأول يشير إلى أملِه في تجدد الدولة الصليحية على يدِ ممدوحه، وعودة الروح إليها بعد ضعفها الشديد حتى لتكاد تسقط، وربما كان هذا المدح خلال رواج الخبر الذي قال به ابن نجيب الدولة أن الملكة قد كبرت وأنه يرى الحجر عليها، وكان ذلك قبل معركةِ الجند سنة 518هـ، إذ كان الأمير الصليحي الممدوح بين القادة المحاصرين في الجند، ويعبر الشاعر عن

أمله من خلال ما يقدِّره هو من تخمينات الحُسّاب، الذين يتحدثون عن الدولة وزعاماتها، وهم ينظرون في النجوم وحركات الطوالع، ويقولون بالسَّعد والنَّحس، ويبدو أنّ سوق التنجيم والتخمينات تغدو رائجةً عند الشعور بضعف الدول، ويخاطب ممدوحَه بأنه صاحب معرفة بأسرار أهلهِ من ملوك الصليحيين، ويمدحه بأنهم من ذوي الحسب فيما وصل إليه من شرف رفيع إذا ذُكِر الشرفاء، ويجعله نابِغًا على كبار من بقي من الدوحة الصليحية، وأنه لا يختلف عن كبار ملوك تلك الأسرة، ويختم بالبيت الرابع فيوجه إليه من الله السلام كلما ظهرت نجوم الطوالع.

أما القصيدة (ق6) في مدح هذا الأمير فجاءت مقدمتها في وصف الفرس وسيلة الرحلة إلى الممدوح، وعلى النحو الآتي:

1 يـا غـاديًا مُزمـعًا في السـيرِ مُعْتَزِمـا لا يتَّـقِي الأيْـنَ والوَعْثـاءَ والأَلـمَا
2 يطوي الصفاصِفَ مُختارًا لِطيشتـهِ بذي رسيمٍ يفـوقُ الأينـقَ الرُّسَـما
3 عبـلٌ سَمـوحٌ طَمُـوحٌ سَهْلَـبٌ أربٌ يعلـو الرُّبَـا ويجـوزُ السـهلَ والأَكَمـا
4 يظـلُّ للأمْعَـزِ الصـوانِ مُنْتَـعِـلًا وللـمحازِمِ والغـيـطانِ مُخْتَـرِما
5 يُخـالُ في الهضـبِ عَـوْدًا أعْـصَمًا رَقِلًا وفي الفَـلا شَبَـبًا في وابـلٍ شَـبِما
6 يـؤمُّ بالـوَخْدِ أعـلامَ الصُّـوَى طَلِـقًا إلى الـذي صارَ في دينِ الهـدى عـلَما
7 واصِـلْ مَسِـيرَكَ بالآصـالِ مُنْسَـرِحًا إلى الـدُّجَى، وصِلِ الأصباحَ والظُّلَما
8 واحملْ سلامي إلى المختـارِ عـن كـثَبٍ فخـرِ الخلافَـةِ والْثُـمْ كـفَّـهُ أَمَـما

وفيها يبدأ الشاعر بوصف نفسه راحلا إلى الممدوح عبر نداء لمنادَى مفترض جعلَه في سَيره اسمَ فاعلٍ من الغُدوِّ والزَّمَعِ والعَزِيمَةِ: "غاديا -مزمعا -معتزما"، أي الخروج في البكور، على وجه

السرعة، والعزيمة، لا يخشى إعياء السفر "الأين" ولا عقبات الطرق التي تغيب فيها حوافر الفرس "الوعثاء"، لقد اختار لقضاء هَمِّهِ "طيشته" أنْ يطوي الأرض المستويةَ "الصفاصِفَ" على فرسٍ لحوافره أثرٌ في الأرض "رسيم" فرس يفوقُ في سرعته النوقَ الرواحل، وهو فرسٌ ضخم "عبل" فيه جودة وكرم "سموح" مرتفعُ القامة "سهلب"، يرفع قوادمه في السير "طموح"، نبيهٌ فطِن لمَرامِ صاحبه "أرب"، يعلو كلّ ربوة يواجهها في طريقه بنشاط، ويقطع السهلَ والأكم، يمضي قوي الخُطَى على الطرق الصخرية الصلبة "الأمعز الصّوان" حتى لكأنّ الفرسَ قد اتّخَذ من صخر ذلك الطريق نعالا لحوافره، ولذا لا يخشى الأماكن الغليظة "المحازم" ويمضي في الأماكن المطمئنة "الغيطان" مُخترِمًا لها، حتى لَتحسب أنّه في الأماكن المرتفعة من الوعول التي ترتقي الجبالَ ابتعادا من أعدائها من السباع والصيادين فتعتصم بها من الأذى، وتتمَثَّلُه في الفلاة الواسعة ثورًا وحشيًّا خَبَرَ مقارعةَ الخطوب وغدْرَ السباع، فهو حذرٌ سريعٌ، لا يلوي على شيء، وإن كانت السحابُ تَزُخُّ عليه وابلها البارد، إنّه فرسٌ يتّجِه "يؤمُّ" في سيره السريع "الوَخد" هدف فارسه، يهتدي في الطريق بمناراتها التي يُخلِّفها وراءَ ظهره، رغبة في الوصل إلى الممدوح، الذي من أوصافه عند الشاعر أنّه عَلَمٌ شامخٌ من أعلام الدين، وفي النصف الثاني من هذا البيت (ب8) ينتقل الشاعر من وصف الفرس إلى وصف الممدوح.

ويظل الشاعر يوجه خطابه للشخص المفترض الذي ناداه في (ب1) ولا شك أنه يريد نفسه، فيقول له في البيت (ب7) واصلْ مسيرك حثيثا في كل الأوقات المتاحة للسير في اليوم واصلا النهار بأطراف الليل، حاملا السلام والتحيات والدعاء من الشاعر الفارس، وقَرِّبْها وجها لوجه "عن كَثَبٍ" إلى الممدوح الذي تمّ اختياره للتوّ، وتعيينُه في المنصب الأعلَى فأصبحَ مفخرةً للخلافةِ، كما يزعمون، في أثناء قيادة الملكة للدولة الصليحية، ومن بعد موتها، حيث أصبح هو الرجل الأول في منظور الخلافة (الفاطمية) التي كانت مرجعية دينية للدولة الصليحية، ذلك لأن هذا الممدوح سيقود الجيوش، ويحل في كرسي الحكم محل الملكة، فإذا وصلتَ بالتحية والدعاء إليه فقبل يده "أمَما" من قرب، فهو:

9 نَـدْبٌ سَما للمعالي وهي شـامِسَـةٌ وأرْعَـفَ الصـارمَ الهنـديَّ والقَـلَما

10 وحَـازَ مِـنْ نَسَـبِ الأصْلُـوْحِ ذُرْوَتَـهُ وحـاشدٍ واعْـتَلَى الهـاماتِ والقِمَـما

11 رئيسُ هـمْـدانَ بلْ كهلانَ أجْـمَعِها بـلْ قَـرْمُ قَحْطَـانَ حـازَ العِـزَّ والكـرَما

12 أوْفَى بني الـدهرِ في شـامٍ وفي يَـمَنٍ قــولًا وفعـلًا وأعــلَى يَعْــرُبٍ هِــمَما

13 ومنْصِــبًا ومحــلًا شامِـخًا وعُــلا عــندَ الفَخَـارِ وأسْـنَى رَهْطِـهِ شِـيَما

ثم يأخذ في وصفِ هذا الممدوح، فهو خفيفٌ إلى قضاء حاجات طالبيه "ندبٌ"، ارتقى للأمور الملوكية وما كانت بالسهلة الممكنة "شامسة" وكان ارتقاؤه بأنه أجاد الفروسية وإخضاع الخصوم بالسيوف الهندوانية الحديد وهو الصلب، فأجرى على السيفِ دمَ الأعداء وجمع بين الفروسية والخطابة والكتابة، فكان لقلمه رفعة، وكان له إلى جانب النسب المتصل بالملك، أي نسب الأصلوح، وهم قومٌ من قبيلة حاشد اليمنية[105] أنْ نال الحسب الذي ارتقى إليه بجهده ووقوفه إلى جانب الملكة قبل موتها، وتسنمه سُدة المنصب الملكي بعد وفاتها، فـ"اعتلى الهامات والقمما" أي تَمَلَّك ورأَسَ القوم من همدان، ومنهم الشاعر قائل هذا النص، وامتدّت قيادته بحسب الشاعر إلى أنْ اتّبعته كهلان بأقسامها من قبائل اليمن، ووسّع الشاعر تقدُّمَ ممدوحِه ليشمل كلّ مَن انتسب إلى اليمن من قبائل العرب (قحطان)، ثم رفع صفات ممدوحه من الهمَّة العالية والمنصب والمحل الشامخ والعُلا عند الفخار حتى جعلَها تسمو فوق صفات جميع العرب، كما في (ب12-13)، ثم عاد به إلى أن يكون أبرزَ رجالِ جيله شِيَمًا.

14 لَـمَّا رأى اللهُ رُكْـنَ الـدينِ مُنْـهَدِمًا والعـدلَ مُهْتَـضَمًا والحـقَّ مُخْتَـرَما

15 حَـبَـاهُ بالرُّتْـبَـةَ العُــليا وشــرَّفَــهُ بدعـوةِ الـدينِ حـتى عَـزَّ وانْتَـظَما

16 وســاقَـهَا نحــوَهُ عَـفْـوًا لطاعَـتِـهِ وحُســنِ سِـيـرَتِهِ كَـهْـلًا ومُحْـتَلِـما

وينثني الشاعر في مدحه ليدعي أنّ الله اختار ممدوحه الأمير علي بن عبد الله الصليحي لرفع رُكْنَ الدينِ الذي أصابه البِلَى وأنْ يقيمَ العدلَ المُهتضَم والحقّ المنقوص "المُختَرم"، فناوله "حَبَاه" الرئاسة بعد الملكة "الرتبة العليا"، وشرفه بالقيام على الدعوة لعقيدته، فعاد إليها العز والانتظام، كل هذا بما ساق الله إليه من المنزلة العالية "عفوا" من غير قتال على الملك، نظرا لما علم الله فيه من الطاعة له، وما كان منه من حُسن السيرة في شبابه "محتلما" وفي كهولته حين أصبح في الرجال المعدودين.

ويختم الشاعر قصيدته بمدح حسنها:

17 فَـدُونَـكَ الـدُّرَّ مَـنْـظومًا مَحَاسِنُـهُ يُعْـمِي الشُّـناةَ ويَجلُـو نُـورُهُ الظّـلما

18 فأحْيِـها كلّـما ناحـتْ مُـطَوّقَـةٌ ولا تُمِتْـهُ فيَمْـضي سِلْـكُهُ رِمَـما

لقد فعل كما كان يفعل الشعراء المُجَوّدون من قبله، ومنهم أبو تمام إذ قال عن إحدى قصائده مخاطبا ممدوحه:

جاءَتكَ مِن نَظمِ اللِسانِ قِلادَةٌ سِمطانِ فيها اللُؤلُؤُ المكنونُ[106]

ومن وصف أبي تمام قصيدتين له قال:

إِذا ما شِعرُ قَومٍ كانَ لَيلًا تَبَلَّجَتا كَما اِنشَقَّ النَهارُ[107]

وهذا نوع من حضور بعض كلام السابق في شعر اللاحق حضورا تلقائيا، وربما كان ذلك الحضور مع نسيان الشاعر لما سبقَ أن اختزن في ذاكرته من أشعار الأول، ولذا أخذ شاعرنا يصف قصيدته بأنها العقد المنظوم من الدُّرِّ اللؤلؤيِّ ذي المحاسن الساحرة، تناسقا وجمالا ووفاء بالمعاني التي أراد، لقد غَدتْ محاسنها تبعثُ الغيرةَ في نفوس الحاسدين المبغضين "الشُّناة"، وتتألقُ في أيدي المحبين كالمصباح الفاخر الذي تُجلَى بنوره الظلمات.

بمثل هذا نكتشف المستوى الدلالي والفني لشعر محمد بن أحمد بن عمران، وإنه لمستوى يشير إلى شاعر عريق في الشعر، متمكن من رواية أشعار العرب مستوعب لمعجمها الجزل بألفاظه القريبة والبعيدة مستخدم لطرائقها في التراكيب، دقيق البناء، حصيف النسج، تشير إلى ذلك أوصافه للفرس وحسن استخدامه لمعجم ذلك الحقل اللغوي المليء بألفاظ غدت اليوم غريبة لقلة استعمالها بسبب ابتعاد الناس اليوم عن هذا الحيوان الذي ظل من مفاخر الرجال حتى مطلع القرن الماضي عندما حلت محله الآلة المتحركة بالوقود الأحفوري.

الخاتمة:

وصل هذا البحث إلى منتهاه، بحسب المصادر المتاحة، وفيه تمكنا من تقديم أبرز ملامح العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر الفارس، وما توفر عن حياته ونشاطه، وجمع ما بقي من شعره وضبطه وتخريجه من مصادره، وترتيبه، وشرح ما احتاج منه إلى شرح وتوضيح، وتحديد أوزانه الشعرية، ودراسة موضوعاته وجمالياته الفنية، والتوصل إلى ما تميز به شعر هذا الشاعر من جماليات فنية، والإشارة إلى ذيوع صيته، لولا حظ الشعر في اليمن في العصور الوسطى والقديمة، إذ لم يحظَ أكثرُه بالتدوين والانتشار والذيوع الكافي والحفظ، ولذا ندعو الباحثين إلى الإقبال على البحث عن دواوين الشعراء اليمنيين، أو ما بقي من أشعارهم في بطون الكتب التاريخية وغيرها، ودراستها ونشرها للقارئ الذي لا يجد إليها سبيلا.

الهوامش والإحالات:

(1) هو علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عبد الجبار بن الحجاج من حجور، وحجور من همدان. ينظر: عمر بن يوسف بن رسول، طُرْفَة الأصحاب في معرفة الأنساب: 114.

(2) تِهَامَة: اسم يطلق على السهول المحاذية للضفة الشرقية للبحر الأحمر، من العقبة إلى عدن، فيقال: تِهامة الحجاز، وتهامة اليمن، وفي تهامة اليمن عددٌ من الأودية الخصبة، كوادي زبيد ووادي رِمَع ووادي سُردُد. ينظر: العقيلي: 62/1.

(3) ابن الديبع، قرة العيون: 110، 229-237.

(4) ابن الديبع، قرة العيون: 242، وينظر: الهمداني، الصليحيون: 84.

(5) ابن الأنف، عيون الأخبار: 90/7. ابن الديبع، قرة العيون: 242، الهمداني،الصليحيون: 99-101.

(6) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون: 176-187.

(7) (ذو جِبْلَة) مدينة صغيرة إلى الجنوب من صنعاء وقد عُمرتْ في القرن الخامس الهجري، وتكاد في عصرنا تدخل في مدينة إبّ، بسبب التمدد العمراني، والمسافة بينها وبين صنعاء 150 كيلو متر هوائي على خرائط جوجل 2019م، وموقعها على السفح الشرقي الجنوبي لجبل التَّعْكَر، واتخذتها السيدة أروى بنت أحمد الصليحية عاصمةً لها، قريبا من سنة 475هـ، وأنزلتْ زوجها المكرم المريض بالفالج في الحصن المنيع المتربع على قمة جبل التَّعْكَر ذلك الجبل الذي على سفحه مدينة (ذي جِبْلَة)، وجعلت عليه الحراسة، وظلتْ تحكم أجزاء من اليمن حتى وفاتها في سنة 532هـ ينظر: الهمداني، الصليحيون: 88،136. ابن الأنف، عيون الأخبار: 122/7.

(8) يؤكد الهمداني في "الصليحيون" أن وفاة المكرم كانت سنة 477هـ، ينظر: 141 وهامشها، و136.

(9) ينظر: عمارة، تاريخ اليمن: 121. والهمداني، الصليحيون: 151.

(10) توفي سنة 491هـ تقريبا.

(11) (الهاء) تعود على الخليفة المستنصر.

(12) الهمداني، الصليحيون: 215.

(13) ينظر: ابن الأنف، عيون الأخبار: 186/7،187. الهمداني، الصليحيون: 174.

(14) القفطي، المحمدون من الشعراء: 73.

(15) الهمداني، الصليحيون: 141 وهامشها: 136.

(16) ينظر: عمارة، تاريخ اليمن: 121،122. الهمداني، الصليحيون: 138 وما بعدها.

(17) عمارة، تاريخ اليمن: 135.

(18) ينظر: ما بقي من شعره (ق4).

(19) ابن نجيب الدولة أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم، الأمير المنتجب عن الخلافة فخر الدولة، كان من رجال الأفضل بن بدر الجمالي الوزير للآمر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، بدأ ابن نجيب الدولة خدمته بإشرافه على خزانة الكتب الأفضلية، ثم وفد من مصر على اليمن سنة 513هـ في أيام الأفضل مُكَلَّفا من الخليفة الفاطمي، بمهمة الدعوةِ للفاطميين، وليقودَ المدافعين عن الدولة الصليحية، فقام بتحركات حربية تأييدا للملكة الحرة، وزاد المأمون البطائحي الوزير الفاطمي من تأييده بعد مقتل الوزير الأفضل، سنة (515هـ) ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء:60/3. عمارة، تاريخ اليمن: 132. وتقلبت أمور ابن نجيب الدولة في اليمن بسبب تعقد الأحوال بها واشتعال الحروب المحلية، وكان قد عمل مع المأمون البطائحي كما يزعمون في التآمر على الخليفة الآمر، إذ أمره البطائحي بأن يضرب السكة ويكتب عليها الإمام المختار محمد بن نزار. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 110/3. وكانتْ الملكة الصليحية قد أمست كبيرة السن، فزعمَ ابنُ نجيب الدولة أنها قد خرفتْ، ويجبُ أن يُحْجَرَ عليها. فلما عادَ من

إحدى معاركهِ إلى مدينة الجند أوْعَزَتْ إلى بعضِ شيوخ القبائل ومن معهم من الفرسان والرجال - وهم كثير- أن يُحَاصِروهُ في تلك المدينة، ففعلوا فلمَّا اشتدَّ عليه ضُرُّ الحصار استنجدَ بالملكة، فاحْتالتْ لفكِّ الحصار عنه، فلما تفرَّق شملُ المحاصِرينَ جاء إلى الملكة مُعتَذرا عما بدر منه، ينظر: عمارة، تاريخ اليمن: 133 وما بعدها. وقد قُبِضَ على ابن نجيب الدولة، وطلب الخليفة الفاطمي الآمر بتسييره إلى مصر، أورد المقريزى في أحداث سنة (521هـ) أنه أحضر إلى القاهرة وسجن مع الوزير المأمون البطائحي، المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 119/3. وقيل انقلبت به السفينة في البحر فغرق.

(20) هو علي بن عبد الله الصليحي الذي أوْكَلَتْ إليه الملكةُ الصليحيةُ أمرَ الدعوةِ وقيادةَ الجيشِ للدفاع عن دولتها، ولُقِّبَ بفخرِ الخلافة، وكان ذلك بعد رحيلِ ابن نجيبِ الدولة عن اليمن وهو ابن أخي علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة، ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله ممتلكات الملك المكرم بعد وفاة الملكة الحرة. هذا مما نقله حسين الهمداني: الصليحيون: 174، عن ابن الأنف، عيون الأخبار: 186/7، 187.

(21) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون: 205،211.

(22) ينظر: عبد الله طاهر الحذيفي، حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء.

(23) الصِّنْو: الأخ.

(24) أبو الرجال، مطلع البدور: 360/4. وينظر: الشامي، تاريخ اليمن الفكري: 214/2.

(25) ينظر: الشامي، تاريخ اليمن الفكري: 214/2-215.

(26) مدينةٌ الجَنَد: مدينة مندثرة، تبعد 20 كيلو متر إلى الشرق عن مركز مدينة تعز الحالية، كانت عاصمةَ الإقليم من قبل الإسلام، وإليها خرج الوالي على اليمن من قِبَلِ الرسول صلى الله عليه وسلم معاذُ بن جبل رضي الله عنه، ومسجد الجَنَد الذي أسسه معاذ بن جبل موجود إلى اليوم، وكانت عامرةً إلى نحو القرن التاسع الهجري، فيها كان الشاعر الفارس محمد بن عمران الهمداني محاصرا مع غيره من القادة إلى جانب ابن نجيب الدولة، وفكّت الملكة الحرة سيدة (أروى) بنت أحمد بحسن تدبيرها الحصار عنهم، وذلك في سنة 518هـ.

(27) قال الشامي: «ولعله توفي أيام سلطنة أخيه حاتم حوالي عام 540هـ»، الشامي، تاريخ اليمن الفكري: 2/ 213.

(28) ينظر: الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان: 18.

(29) ينظر: الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان: 227. وينظر: الحذيفي، حاتم بن أحمد الهمداني: 408.

(30) نسبةً إلى الإمام الطيب بن الخليفة الآمر وقد وُلِدَ الطيب في ربيع من سنة 524هـ، وأقام والده الاحتفالات بمولده، وجُعِلَ وليَّ عهدِه، وكان قتل الخليفة الآمر في يوم الثلاثاء الرابع من ذي القعدة من السنة نفسها عن عمر بلغ قريبا من 35سنة، وكانت الخلافة الفاطمية قد نقلت إليه وعمره 5 سنوات، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 128/3، 129، 130. وفي خبر آخر أن ابن الآمر هذا لم يولد بعد وأن الآمر قبل وفاته أشار إلى أنّ الجهة (المرأة) الفلانية حامل منه، وأنه رأى رؤيا تدل أنها ستلِد ولدًا ذكرا

وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للأمير عبد المجيد أبي الميمون، فجلس المذكور [على كرسي الخلافة] كفيلا، ونُعِتَ بالحافظ لدين الله، رابع ذي الحجة سنة 524هـ، المقريزي: اتعاظ الحنفاء: 137/3.

(31) ينظر: الهمداني، الصليحيون: 183، 184.ابن الأنف: عيون الأخبار:306/7 وما بعدها.

(32) ينظر: الهمداني، الصليحيون: 186.

(33) ينظر: نفسه: 186، 187.

(34) ينظر: نفسه: 188.

(35) القفطي، المحمدون من الشعراء: 73. الشامي، تاريخ اليمن الفكري: 21/2.

(36) الرَّبع: المكان يَرْبُع فيه الإنسان وما معه من المواشي في أيام الربيع، عفا: انطمست آثاره، تنكّر: تغيّر، المزن: السحاب، وعهاد المزن: تتابع المطر عليه، أعهده: أعرفه.

(37) القد: القوام، منور الخد: خده صاف بهي كأنه الزهرة البيضاء المائلة للصفرة.

(38) ينوء به: يجعله مرتفعا، كناية عن طول الموصوف، الحقف: المستدير من الرمل المشرف.

(39) ابن الأنف، عيون الأخبار: 298/7.

(40) كذا قال صاحب عيون الأخبار ولم يورد من الكتاب/ الرسالة شيئا. ابن الأنف، عيون الاخبار: 40.

(41) الحُسَّاب: هم الذين ينظرون في النجوم ويقولون بالسعد والنحس... ويتوقعون مَن يتولى ومن يترك، وكل ذلك من التخرص والكذب.

(42) العريف: العليم، والمقصود بالملوك هنا: الأمراء والوجهاء من بين الناس.

(43) الدوحة: الشجرة العظيمة، والأصلوح: قوم الممدوح.

(44) ابن الأنف، عيون الأخبار: 371/7، 372. الهمداني، الصليحيون: 209- 210.

(45) نأت: بَعُدَتْ، ورواية شطر البيت الثاني في (عيون الأخبار: "فآيس راجي النصر فيه على النصر)، ابن الأنف، عيون الأخبار: 371/7. والمثبتة رواية: الهمداني، الصليحيون: 209.

(46) رواية "الصليحيون" دهر الشر، وهذه رواية ابن الأنف، عيون الأخبار: 7/ 371.

(47) (دوحة روضة) رواية "الصليحيون" أما رواية ابن الأنف، عيون الأخبار: 371/7 فهي: واضة روضه.

(48) رواية "الصليحيون" فقضبانها، أما رواية ابن الأنف، عيون الأخبار: 371/7 فقبضابها.

(49) كانت الخلافات قد هزت قصر الخلافة الفاطمي في مصر، وقُتِلَ الآمر بأحكام الله وتولى عبد المجيد الخلافة (524-544هـ)، وكان قد شاع أنّ ابن الخليفة المقتول - ولقبه "الطيب" وكان لايزال طفلا- قد أصبح في كفالة الملكة أروى، وأنها احتفظت بولائها له، وقالتْ بإمامته، ورفضت الاعترافَ بعبد المجيد الخليفة الفاطمي الحادي عشر؛ قال حسين الهمداني: «وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته... ومما لا شك فيه أن الملكة ورئاسة الدعوة في اليمن كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب..» وكانتْ هذه التحولات قبيل وفاة الملكة الحرة بما لا يزيد عن ثمان سنوات. ينظر: ابن الأنف، عيون الأخبار: 306/7 وما بعدها. وينظر: الهمداني، الصليحيون: 186، 187.

(50) في (عيون الأخبار) دين. والإصر: عقد الشيء وحبسه بقهره، والإصر هنا الأمر الذي يقيدهم ويثبطهم عند الخيرات.

(51) أراد بالتيار: البحر.

(52) رواية الصليحيون (واضطر حرف المد)، أما رواية ابن الأنف، عيون الأخبار: 371/7 فهي: (ويصطرخون المد).

(53) أراد بـ"كسوف الشمس": غيبة الطيب المشار إليه في الهامش السابق، وأراد بـ"خسوف البدر الدائم": موت الملكة السيد أروى بنت أحمد.

(54) السرار من الشهر: آخر ليلة منه، تكون شديدة الظلمة، وجعلها لا صباح لها، وشبه عصره وغيابَ الطيب بها، والمحاق: آخر ليلة من الشهر يمحق فيها القمر فلا يرى لا غدوة ولا عشية، وجعل ذلك المحاق لا يسفر عن فجر، يأسا من رجعة الملكة بعد موتها.

(55) من الفروع التي أرادها ممدوحه علي بن عبد الله الصليحي، المذكور في البيت التالي وعلي بن عبد الله هذا هو ابن عم المكرم فورث أملاك بيت الصليحي بعد وفاة السيدة، ينظر: الهمداني، الصليحيون: 209.

(56) عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية: 25. وما أورده المؤلف جاء هكذا: "وقال في وصف الخيلِ محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل"... (وأورد الأبيات).

(57) ابن الأنف، عيون الأخبار: 295/7، 296. وعماد الدين إدريس بن الحسن الأنف، نزهة الأفكار وروضة الأخبار، لقطة: (377)، لوحة: (29) ولقطة: (376) لوحة: (30)، ولم يرد البيت 14 في مخطوطة نزهة الأفكار.

(58) في الأصل "وداركم".

(59) سراع يعاسيبٍ: اليعاسيب: جمع يعسوب وهو ذكر النحل، وسراع من السرعة في طيرانه.

(60) العَنْدَمُ: لون قطر شجرة دَم الأَخَوَيْن، وقيل: العندم صِبْغ الداربرنيان وقيل: العندم دَمُ الغَزال بِلِحاء الأَرْطى يطبخان جميعًا حتى ينعقدا فتختضبُ به الجواري.

(61) الغواة: من الغي: وهو جهل من اعتقاد فاسد. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (غوى). تألبوا: أتو من كل ناحية.

(62) في نزهة الأفكار (منهم).

(63) أراد أنهم كجنود عبيد الله بن زياد في طغيانهم وبغيهم عندما بطشوا بالحسين بن علي عليه السلام وهم في سطوتهم كجند يزيد بن معاوية.

(64) في نزهة الأفكار (حيٍّ).

(65) الشيحان: الفرس الشديد النَّفَس، "صُحًّا": بريئة من كل عيب.

(66) (للاجناد) كذا "عيون الأخبار" وفي "نزهة الأفكار"، ويمكن تحويل همزة القطع في الكلمة إلى همزة وصل للضرورة الشعرية.

(67) الضوامر: الخيل، والوشيج: شجر الرماح، وأراد الشاعر هنا الرماح عينها.

(68) الدبى: أصغر الجراد، والنمل. القاموس المحيط: (دبي).

(69) في "نزهة الأفكار" (المنية).

(70) أراد بالإمام: المستنصر صاحب الدعوة الفاطمية، وحزبه أتباعه.

(71) في المتن "الطّلى"، وفي الهامش "الظبا" وهذه أقرب إلى سلامة المعنى.

(72) أراد بالموفّق: ابن نجيب الدولة.

(73) الكمي: الشجاع، ولابس السلاح.

(74) فلّت شباهم: كسرت حدَّهم.

(75) في "عيون الأخبار"(يزكرية) وهو تصحيف، ومَذْكَر أحد جدود همدان، ينظر: ترجمة عمران بن الفضل الهمداني فيما سبق.

(76) يوم الكريهة: يوم المعركة.

(77) أراد الرجلين المقدمين فيهم.

(78) القصيدة في: ابن الأنف، عيون الأخبار: 7/297،298. ماعدا البيت (18) فهو في "نزهة الأفكار"، والقصيدة في "نزهة الأفكار"، ما عدا الأبيات 2 و3 و4 و5 و6 فلم ترد في "نزهة الأفكار"، ينظر: ابن الانف، نزهة الافكار: لقطة (376)، لوحة (30). والأبيات 1و8 و10و11و15. الهمداني، الصليحيون: 174-175.

(79) في الأصل "مزعما" وفي "الصليحيون" "مزمعا" وهي الصواب.

(80) في الأصل "السير"، وفي "الصليحيون" "الأين" وهي الصواب.

(81) الرسم الأثر والبقية، والرسيم أثر الحوافر على الأرض.

(82) العبل: الضخم من كل شيء، والعبلاء: الصخرة، أو البيضاء منها. و"سمح": جاد وكرم، الطموح: المرتفع وطمح الفرس: رفع يديه. السلهب: الطويل، وأرب: أريب: عاقل وشديد وأراد هنا أن الفرس فيه نباهة.

(83) الأمعز: الصلب، الصوان: ضرب من الحجارة شديد، منتعلا: النعل ما وقيت به القدم من الأرض، المحازم: الأماكن الغليظة من الأرض، والغيطان الأماكن المطمئنة، مخترما: قاطعا.

(84) في الأصل "وقلا" وأحسبها مصحفة من (رقلا) والرقل الاهتزاز في السير.

(85) تحسبه عندما يكون في المكان المعتلي (الهضبة) كالعَوْد الأعصم أي الكبير من الوعول، وفي الصحراء تحسبه كالثور الوحشي (الشبب) المسن أي الذي اكتسب الخبرة الكافية للنجاة مما يداهمه ومن ذلك المطر (الوابل) والسيول.

(86) الوخد: نوع من السير يرمي فيه البعير أو الفرس بقوائمه كالنعام، أعلام الصوى: معالم الطرق، الفرس الطلق: ذو الحِدّةِ.

(87) الكثب: القرب، الغالب أنه قصد بالخلافة: خلافة الفاطميين، وقصد بفخر الخلافة: عليَّ بن عبد الله بن محمد الصليحي، الْثَم: قبِّلْ، الأمَمُ: القرب واليسر.

(88) الندْب: الخفيف في الحاجة الظريف النجيب، شامسة: من شَمَسَ الفرس: منع ظهره، أرعف من الرعاف: خروج الدم من الأنف، والصارم السيف وأرعفه جعله يقطر دما من الأعداء، كناية عن شجاعة هذا الفارس، وأرعف القلم: كناية عن كونه يحسن الكتابة أي الإنشاء.

(89) في نزهة الأفكار (العلم)، وفي "الصليحيون" "العز" والقرم: الفحل وهنا بمعنى المقدم المطاع في قومه.

(90) رهط الرجل: قومه وقبيلته.

(91) فدونك الدر: أي خذه، والمقصود بالدر هنا: الكلام (الشعر)، هذه القصيدة، والشناة: المبغضون والكارهون.

(92) البيت ثابت في نزهة الأفكار.

(93) الرازي، نهاية الإيجاز: 180.

(94) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة: 191.

(95) النابغة الذبياني، ديوانه: 42.

(96) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 75/1.

(97) الهمداني، الصليحيون: 207.

(98) المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 128/3.

(99) ينظر: ابن الأنف، عيون الأخبار: 306/7، وما بعدها. وقال حسين الهمْداني: «وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته... ومما لا شك فيه أن الملكة ورئاسة الدعوة في اليمن كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب..» ينظر: الهمداني، الصليحيون: 186،187.

(100) أورد المقريزي: أنّ الوزير أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي (ت526هـ)، كان "أكثر خلق الله تخلُّفا وأقلهم علما" وكان أول عمل له بعد تولي الوزارة للحافظ أنْ سجن هذا الخليفة واستبدّ بالحكم، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 139/3، 140، 141. ثم تولى الوزارةَ يانسُ الأرمني، واستبدّ

بالأمر أيضا، لكنه لم يطل بقاؤه، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 144، 145. وبعد يانس استخلص الخليفة الحافظ الأمر لنفسه ولأولاده، لكنه لم يسلم من اختلاف أولاده واصطدام رجالهم، حتى ولى ابنه حسن ولاية عهده، فاستبد بوالده وضيق عليه، وقتل رجال الدولة، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 146/3، 150، 151. وحاصر الجُنْد قصرَ الخلافة وفيه الخليفة الحافظ وولده حسن، فاضطر الحافظ لقتل ولده حسن إرضاءً لهم، المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 153-155. ثم ولّى الحافظ الوزارة بهرامَ الأرمني النصراني، المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 155. فأقبل قومه بكثافة على القاهرة، فخافهم أهل القاهرة واستغاثوا برضوان بن ولخشى وكان من كبار الأمراء، فخاف بهرامُ وترك القاهرة وخرج بقومه واتجهوا نحو أسوان بالصعيد، وتولى رضوان الوزارة. المقريزي، اتعاظ الحنفاء: 161. وماتت الملكة الصليحية والخلافة الفاطمية بيد الحافظ عبد المجيد ووزير الدولة رضوان المذكر.

(101) ينظر: الهمْداني، الصليحيون: 180-181.

(102) ينظر: نفسه: 165.

(103) ينظر: نفسه: 174.

(104) ينظر: نفسه: 174.

(105) الأصلوح: عشيرة من الهمدانيين في جبل حراز، كانت لهم الزعامة في اليمن في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري حتى نهاية الثلث الأول من القرن السادس، ينظر: المقحفي، معجم البلدان: 78/1.

(106) أبو تمام، ديوانه، شرح: الخطيب التبريزي: 328/3.

(107) نفسه: 158/2.

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم أحمد المقحفي، "معجم البلدان والقبائل اليمنية"، دار الكلمة، صنعاء، ط4، 2002م.

2) أحمد بن صالح بن أبي الرجال، "مطلع البدور ومجمع البحور"، تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط1، 2004م.

3) أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م.

4) أحمد محمد الشامي، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، دار النفائس، بيروت، 1987م.

5) إدريس بن الحسن عماد الدين الأنف (794-872هـ)، نزهة الأفكار وروضة الأخبار، (مخطوط)، نسخة إلكترونية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، مأخوذة من ميكرو فيلم، رقم (7493)، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، تم تصويره في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء عام: 1983م.

6) حبيب بن أوس أبو تمام، ديوان أبي تمام، شرح: الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1982م.

7) حسين فيض الله الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، بيروت، ومنشورات المدينة، صنعاء، ط3، 1986م.
8) زياد بن معاوية النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.
9) سليمان بن يحيى الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: عبد الغني محمد عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 2002م.
10) عبد الرحمن بن علي بن الديبع (ت 944هـ)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار بساط، بيروت، ط2، 1988.
11) عبد الله بن حمزة بن سليمان (614هـ)، تاريخ الخيول العربية شرح أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وما يحمد فيها وما يذم، شرح: أحمد بن عبد الله بن حمزة (ابن المؤلف)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط1، 1979م.
12) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "الشعر والشعراء"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1958م.
13) عبد الله طاهر الحذيفي، حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء (533-556هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتحقيق ودراسة، مجلة جامعة الوصل، دبي، العدد57، يونيو: 2019م.
14) علي بن يوسف القفطي (ت.646هـ)، "المحمدون من الشعراء"، تحقيق: حسن معمري، راجعه: حمد الجاسر، جامعة باريس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1970م.
15) عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف (794-872هـ)، "عيون الأخبار (السُّبْع السابع)"، مخطوط، مكتبة الفاو، صنعاء، اليمن.
16) عمارة بن علي اليمني (ت.569هـ)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، ط 3، 1985م.
17) عمر بن يوسف الأشرف بن رسول، طُرْفَة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: (ك. و. ستر ستين) عضو المجمع العلمي العربي، منشورات المدينة، بيروت، ط2، 1985م.
18) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، مطابع الرياض، الرياض، ط3، 1998م.
19) محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (606هـ)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي، بيروت، دار صادر، ط1، 2004م.
20) محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي، "القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998م.
21) يحيى بن علي بن محمد الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تعليق: مجيد طرّاد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م.